

١ - خطوات الرّعب ..

تسلّل النعاس إلى جفني الدكتور (فؤاد عيسى) ،
مدير مستشفى (مرسى مطروح) الجديد ، فشاءب في
قوة ، وهزّ رأسه وكأنه ينفذ عنها الكسل ، ثم تطلّع إلى
ساعته ، فوجدها تشير إلى الرابعة من صباح ذلك اليوم
الحار ، من أيام شهر أغسطس ، ودفعه هذا إلى التهنّد
قائلًا :

— يا لها من ليلة طويلة !! وهذه النوبتجية تبدو كأنه
لا نهاية لها ، حتى المرضى لم يصب أيهم بما يدعو إلى
العمل .

وابتسم عند هذه النقطة بتكاسل ، فقد أدهشه أن
يتمنّى بعض التعب لمرضاه ، تخلّصًا من حالة الملل التي
سيطرت عليه هذه الليلة ، وعاد يشاءب وهو يفرد ساقيه
عن آخرهما أمامه ..



سلوى



نور الدين



محمود



رمزي

وفجأة .. تناهى إلى مسامعه صوت خافت منتظم ،
من المشى الطويل خارج الحجرة ، ووجد حواسه كلها
تتبه ، وكأن في هذا خروجًا ، أو ثورة على حالة الملل ..
كانت الخطوات بطيئة منتظمة ، تقترب من حجرته
في إيقاع ثابت يعلو رويدًا رويدًا ، ولسبب ما شعر
الدكتور (فؤاد) بخوف مبهم يسرى في قلبه ، فنهض ،
وتحدث إلى نفسه بصوت مرتفع ، وكأنه يطرد حالة
الخوف التي سيطرت عليه :

— لا شك أنه أحد المرضى قد استيقظ و

وبتر عبارته فجأة ، وعقد حاجبيه بمزيد من الدهشة
والقلق ، فلقد تذكر أن هذا المستشفى يضم فقط
المرضى المصابين بكسور عفيفة ، تعجزهم عن المشى
فترات طويلة ، وأن طاقم التمريض بأكمله من الآلين ،
وتذكر بمزيد من الخوف أنه الرجل الوحيد القادر على
المشى في هذا المستشفى الضخم .

شعور عجيب ذلك الذي انتابه ، فقد وجد جسده
كله يرتجف ، كأنما قد شاهد مشهدًا مرعبًا ، وسمع
صوت أسنانه وهي تصطك بعضها ببعض ، ولكنه لم
يلبث أن تغلب على المشاعر جميعها ، وهتف في حنق :
— من الذي يتجول هنا بحق السماء ؟

ثم تحرك في حدة نحو مقبض باب حجرته ، ولم يكده
يمسه حتى توقفت الخطوات بغتة في المشى الخارجى ،
مما أعاد إلى الدكتور (فؤاد) كل توثره ، وقلقه و ..
خوفه ..

وبعد فترة من الصمت سمع صوت الخطوات يعود
مرة أخرى ، ولكنه لم يكن يقترب منه هذه المرة ، بل كان
يتسلل إلى واحدة من حجرات المرضى التي يمتلئ بها
الممشى ..

شيء واحد يحطم كل عوامل الخوف في نفس الدكتور
(فؤاد عيسى) .. إنه قلقه على مرضاه ، فلم يكده يسمع
صوت الخطوات وهي تتسلل داخل أحد الحجرات ،

حتى أدار مقبض الباب ، واندفع إلى الممشى الخارجى ،
ودارت عيناه يمناً ويسرة ، قبل أن تتوقف عند باب
مفتوح لأحد حجرات المستشفى ، فتحرك نحوه في
خطوات غاضبة سريعة ، وقد تلاشى خوفه ، وحل محله
حنق بالغ ، على ذلك الفضولى الذى يزور المرضى في
أوقات الراحة .

كانت خطواته قوية ، غاضبة ، ثائرة ، حتى انبعثت
تلك الصرخة الرهيبية .

كانت صرخة تموج بالرعب والفرع ، مع مزيج من
التوتر والتوسل ، صرخة لم يسمع الدكتور (فؤاد)
مثلاً في حياته ، انطلقت من الحجرة المفتوحة ، حيث
اختفت الخطوات الغامضة ، ومع نهاية الصرخة ارتفع
صوت المريض صاحب تلك الحجرة يهتف :

— كلاً .. كلاً .. إننى لن أخبر أحداً .. لن أخبر

أحداً .

اندفع الدكتور (فؤاد) إلى حجرة مريضه مع
تصاعد همهمات القلق من حجرات المرضى الآخرين ،
الذين أيقظتهم تلك الصرخة المرعبة .. ولم يكذ الدكتور
(فؤاد) يصل إلى باب حجرة المريض ، حتى توقف
فجأة ..

كان هناك رجل يرفل في عباءة زرقاء ، ينحنى فوق
المريض الذى اختفت صرخاته تماماً ، وكان ظهره تجاه
الدكتور (فؤاد) ، الذى هتف في صوت متحشرج من
شدة الانفعال :

— من أنت ؟ .. وماذا تفعل هنا ؟

استدار إليه صاحب العباءة الزرقاء في بطاء ، ولم
يكذ بصر الدكتور (فؤاد) يقع على وجه الزائر
الفضولى ، حتى ارتجف جسده ، في انتفاضة قوية ، من
قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، فقد كان وجه الزائر أزرق
تماماً ، وعيناه حمراوين بلون الدم ، وكانت ملامحه

البغيضة تحمل غضبًا لا نهاية له ، غضبًا حبس الكلمات
في حلق الطيب ..

وبنفس الخطوات البطيئة المخيفة اقترب الزائر الأزرق
من الطبيب ، وحاول الدكتور (فؤاد) أن يعدو
خارجًا ، ولكن ساقيه تسمرتا ، وعجز عن رفع عينيه
عن تلك العينين الحمراوين ، واتسعت عيناه رعبًا حينما
مدَّ الزائر الأزرق أصابعه المعروقة نحو عنقه ، وأراد أن
يصرخ رعبًا وفزعًا ، ولكنه وجد السماء تظلم من
حوله ، وانهارت ساقاه و .. فقد الوعي .



استدار إليه صاحب العباءة الزرقاء في بطاء ، ولم يكذب بصر
الدكتور (فؤاد) يقع على وجه الزائر الفضولي حتى ارتجف جسده ..

٢ - جريمة الموسم ..

توقفت سيارة الرائد (نور الدين) أمام مستشفى
(مرسى مطروح) ، وقفز هو منها في رشاقة كعادته ،
ثم تحرك في خطوات واسعة سريعة نحو المستشفى ،
وتجاوز سيارات الشرطة العديدة التي تملأ ساحته ، وقفز
درجات السلم إلى الطابق الثاني ، حيث استقبله ضابط
شرطة برتبة نقيب ، رفع حاجبيه في دهشة وهو يهتف :
- الرائد (نور الدين) .. هل ستولّى المخبرات
العلمية هذه العملية ؟

أجابه (نور) وهو يلوح بذراعيه في ضيق :

- إننى هنا دون تكليف رسمى أيها الضابط ، إن

الدكتور (فؤاد) صديق شخصى لى .

مطّ الضابط شفّته في أسف ، وقال :

- يؤسفنى ذلك يا سيادة الرائد ، فهو متورط حتى
النخاع .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأله :

- وكيف توصلت إلى اتهامه على هذا النحو الواثق
أيها الضابط ؟

هزّ الضابط كتفيه ، وهو يقول :

- إنه الرجل الوحيد الذى يستطيع التحرك على
قدميه داخل المبنى يا سيادة الرائد ، وحراس الأمن
يؤكدون أن أحدا لم يدخل إلى المستشفى طيلة ليل
أمس ، والانتقال إلى حجرة القتل يحتاج إلى قدمين ..
أليس كذلك ؟

بدا وجه (نور) جامدًا ، وهو يغمغم :

- ليس دائمًا .

نظر إليه الضابط في دهشة ، ثم قال في حماس :

- لقد أسرع حراس المبنى إلى الداخل ، بعد خمس

دقائق من سماعهم صرخة القتل ، وأنت تعلم أن هذا

— هذا جزء من الحُطَّة يا سيادة الرائد ، قصة
خيالية محبوكة و

أوقفه (نور) بإشارة من يده ، وقال :

— دعنا نؤجل مناقشة نظريتك حتى أقابل الدكتور
(فؤاد) أيها الضابط ، هذا إذا لم يكن لديك ما يمنع ذلك .

ارتجف جسد الدكتور (فؤاد) وهو يختتم حديثه مع
(نور) ، وأردف في صوت مفعم برعب لم يزياله بعد :

— لن يمكنك تصوُّر بشاعة هذا الوجه الأزرق
يا (نور) ، إنه لن يفارق مخيلتي ما بقى لي من عمر ..
إنك تصدقني .. أليس كذلك ؟

أوماً (نور) برأسه إيجاباً ، وقال :

— إنني أصدِّق كل كلمة نطقت بها يا دكتور
(فؤاد) ، فبرغم غرابة قصتك ، إلا أنني واجهت
ما هو أكثر غرابةً في عمليات سابقة ، ولكن هناك عدة
نقاط تحتاج إلى تفسير .

المستشفى ليس له سوى مخرج واحد ، وفي الداخل لم
يكن هناك سوى الدكتور (فؤاد) ، متظاهراً بفقدان
الوعي أمام القتيل ، وحينما أفاق ، أو تظاهر باستعادة
وعيه ، قصَّ عليهم قصة عجيبة عن رجل أزرق اللون ،
قصة لا يمكن أن يصدِّقها أحد ، وبرغم غرابتها فتش
حراس الأمن المبنى بأكمله ، فلم يجدوا رجلاً واحداً
يمكنه الحركة ، سواء كان أزرق اللون أو أحمره .

صمت (نور) لحظات ، وقد ازداد انعقاد حاجبيه ،
دلالة على التفكير العميق ، ثم سأل الضابط في هدوء :
— كيف لقي القتيل مصرعه أيها الضابط ؟
أجابه الضابط :

— خنقاً أيها الرائد ، لقد لفَّ، أحدهم حبلاً أزرق
اللون حول رقبته ، واعتصرها حتى الموت .
غمغم (نور) ، وكأنه يحدث نفسه :
— أزرق اللون ؟

اندفع الضابط ، وكأنما يدافع عن وجهة نظره ، قائلاً :

سأله الدكتور (فؤاد) في لهفة ، وكأنه يتشبَّث بالأمل الذي منحته إياه كلمات (نور) :

— سل ما بدا لك يا (نور) ، سأجيبك بقدر ما أستطيع .

ظل (نور) صامتًا يفكر بضع لحظات ، ثم سأله :

— يقول حراس الأمن إنَّ أحدًا لم يدخل المبنى ، أو يغادره خلال الحادث ، وإنهم لم يعثروا على أدنى أثر لذلك القاتل الأزرق ، فكيف تتصوَّر أنه وصل إلى هنا ؟

هزَّ الدكتور (فؤاد) رأسه في حيرة ، وقال :

— من يدري ؟ .. ليتني أمتلك إجابة عن هذا السؤال يا (نور) .

عاد (نور) إلى صمته وهلة ، قبل أن يعاود سؤاله :

— كيف فقدت الوعي ؟
أجابه الدكتور (فؤاد) :

— لست أدري يا (نور) ، لقد كنت أحدق برعب في تلك العينين الحمراوين ، حينما مدَّ ذلك الرجل

البشع يده الزرقاء إلى عنقي ، وقبل أن يمسَّها فقدت الوعي .

ظهر الاهتمام على وجه (نور) ، وهو يسأله :

— هل أنت واثق أنه لم يمس عنقك ؟
هزَّ رأسه إيجابًا في قوة ، فظهرت دلائل التفكير العميق على وجه (نور) ، وغمغم :

— لا بد من دليل واحد ، يؤيد هذا يا دكتور (فؤاد) .
ظهر اليأس على وجه الدكتور (فؤاد) ، ولوَّح بكفه قائلاً :

— يبدو أنه ليس هناك من أمل ، إن كل الحلقات تضيق من حولى .

صاح (نور) :

— لا تفقد الأمل بهذه السرعة يا صديقي ، إنني أؤمن ببراءتك ، ولن أعدم وسيلة لإثباتها .

رفع إليه الدكتور (فؤاد) عينين يلوح فيهما الامتتان والشكر ، وقال :

— إننى أعلم عبقريتك فى حل غوامض الأمور
يا (نور) ، سأسلمك عنقى واثقا .

فتح (نور) فمه ليشكره على ثقته ، حينما دق الباب
عدة دقائق متعجّلة ، فاستدار (نور) يفتحه ، وهو
يتصوّر أن الضابط هو صاحب هذه الطرقات ، ولكنه لم
يكّد يفتح الباب حتى اكتسى وجهه بالضيق ، وعلى
الجانب الآخر من الباب ، رفعت (مشيرة محفوظ)
الصحفية الشهيرة بجريدة (أبناء الفيديو) حاجيبها فى
دهشة ، ثم لم تلبث أن هتفت فى لهجة خبيثة ، وهى
تندفع إلى داخل الحجره :

— يا إلهى !! لقد كنت أظنى بصدد جريمة قتل
عادية .

ثم تأملت (نور) ، وهى تردف فى سخرية :
— ولكن وجود الرائد (نور الدين) ، يؤكّد أننى
سأنقل للمشاهدين قضية الموسم .

٣ — عالم أزرق اللون ..

أطلقت (مشيرة محفوظ) ضحكة ساخرة طويلة ،
وتأمّلت وجه (نور) بمنزج من الشماتة والخبث ، وهى
تقول :

— إننى لا أصدّق كلمة واحدة مما نطق به بالطبع ،
إن قصته تصلح لفيلم سينمائى ، يبرع فيه مخرجو أفلام
الرّعب المجرّمة ، ولكنها لا تصلح دفاغا جيّدا عما
اقترفه .

أجابها (نور) فى برود :

— إنه لم يُدّن بعد يا (مشيرة)

ضحكت مرة ثانية ، وهى تقول :

— ولكنه سيُدان ولا شك .. إن كل الأدلة

تؤكد

قاطعها (نور) فى حدّة :

حدّقت في وجهه بدهشة ، على حين أردف هو
محتدًا :

— إن كل ما تسمونه أدلة إتهام ، أراه أنا عوامل نفى
خطيرة ، فلا توجد علاقة واحدة بين الدكتور (فؤاد) ،
وذلك القتل الذي يعمل في التقيب عن الآثار ، وحتى
لو افترضنا أن الدكتور (فؤاد) — لسبب مجهول —
قرّر قتله ، فإنه لم يكن يحتاج إلى كل هذا اللف والدوران
ليفعل ذلك ، كان يكفيه أن يعالجه بدواء مميت ،
أو يضاعف جرعة أحد الأدوية إلى حد الموت .

ظهر الغضب على وجه (مشيرة) ، وهي تقول في
حدّة مماثلة :

— إذن فأنت تصدّق تلك الرواية ، المليئة باللون
الأزرق ، التي يقصّها على الجميع .
قال (نور) :

— إن العباءة الزرقاء والحبل الأزرق ، أشياء يمكن
شراؤها من أى متجر في مصر ، أما عن لون الجلد
الأزرق ، والعينين الحمراوين ، فهذا عمل تافه بالنسبة
لأى رجل يجيد أقل القليل من فن المكياج .

أطلقت (مشيرة) ضحكة ساخرة ثانية ، وهتفت
وهي تلوّح بذراعيها في شكل مسرحى :

— إذن فكل الأمور يسهل افتعالها حينما يريد الرائد
(نور) ذلك ، والقاتل مظلوم ما دام صديقًا له ، دون
أن يلتزم بتقديم دليل واحد يؤيد قوله .. يالك من
مغرور !!

كتم (نور) غيظه وضيقة في صعوبة ، وقال :
— سأبحث عن الدليل يا (مشيرة) ، وثقى أنى
لن أعجز عن إيجاده .

ابتسمت في سخرية ، وقالت :
— هل ستجد أيضًا تفسيرًا لدخول وخروج هذا
الوحش الأزرق ، المتكرّر في صورة إنسان ؟ هل ارتدى

طاقة الإخفاء وهو يعبر مقر حراس الأمن دخولاً
وخروجاً ، أو أنه هبط من السماء ؟

تألفت عينا (نور) فجأة ، وبوغت به يمسك
كتفها ، صائحاً في فرح :

— لقد نطقت بها .. إنها الوسيلة الوحيدة المقبولة ،
والمعقولة .. نعم .. لقد هبط من السماء .

حدّق ضابط الشرطة في وجه (نور) بدهشة ، ثم
هزّ رأسه كأنه لا يصدّق حرفاً واحداً مما يقوله (نور) ،
ولكنه حرصاً على فارق الرتب بينهما ، قال في احترام :
— إن قتل رجل لا يحتاج إلى كل هذا ياسيادة

الرائد .

أجابه (نور) :

— هذا يتوقف على أهمية الرجل أيها النقيب .

صمت النقيب لحظة ، ثم قال :

— ولكن هذا يعني أن رجال الأمن صمّ ، فكل

الحوامات والطوافات التي يمكنها الهبوط فوق سطح
المستشفى ، لها صوت واضح مسموع .

ابتسم (نور) في هدوء ، وقال :

— حتى ولو كان لها صوت كالهدير ، فلن ينتبه إليها
أحد من رجالك ، فهم ليسوا مقاتلين في جيش ، يخوض
حرباً ضروساً ، إن مهمتهم تقتصر على منع دخول من
لا يحمل تصريحاً إلى المستشفى ، ولكنهم لن يراقبوا
الطائرات .

ظهر الشك على وجه النقيب ، فأردف (نور) :

— هل ستوقّع أن تهبط طوافة فوق منزلك ،

لو أنك سمعت هدير مراوحها فوقك ؟

ظل الشك مرتسماً في ملامح النقيب بعض الوقت ،

ثم لم يلبث أن هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— إنني لن أتوقّع ذلك بالطبع ، ولكن

قاطعته (نور) قائلاً :

— ولكن الشيء الوحيد الذى يحسم مثل هذا الاستنتاج ، هو فحص سطح المبنى .
تردد النقيب لحظة ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه ، وقال :

— ولمَ لا؟ إننا لن نخسر شيئاً

وقف الرائد (نور) ، ونقيب الشرطة يفحصان السطح الواسع بعيونهما ، ثم قال النقيب وهو يشير بكفه إشارة مبهمة :

— هل سنفحص كل هذا المكان ؟

ثم أردف وهو يهزُّ رأسه خيرة :

— سيستغرق هذا منا ثلاثة أيام على الأقل .

ضحك (نور) وهو يقول :

— اطمئن أيها النقيب ، إننا لن نفحصه كله ،

سنكتفى بقدر ضئيل منه .

نظر إليه النقيب فى دهشة ، فتابع قائلاً :

— لو أنك أردت الهبوط بطوافة على سطح المستشفى ، فإنك ستتخير مكاناً وسطاً ، يجعلك غير ملحوظ من حراس الأمن ، كما أنك ستتخير مكاناً متسعاً لا تعوقه أسلاك المراقبة أو الهوائيات .. إنك باختصار لن تجد أفضل من هذا المكان هناك .

وأعقب عبارته بأن تحرك نحو النقطة التى أشار إليها ، وتبعه النقيب فى صمت ، وراقبه وهو يتفحص المنطقة فى اهتمام بالغ ، ثم رآه ينحن ليفحص أرض السطح فى تركيز شديد ، فاقرب منه يسأله :

— هل وجدت شيئاً يسيادة الرائد ؟

أشار (نور) إلى بقعة داكنة تلوث السطح ، وقال :

— هذا نوع من مخلفات الوقود الأمينى أيها النقيب ، وهى لم تلتصق بالسطح بعد ، وهذا يعنى أنه لم يمض عليها هنا أكثر من ثمان وأربعين ساعة ، مادام السطح لا يستخدم عادة لهبوط الحوامات ، فهذا يعنى ...

٢٤ — مهمة الفريق ..

أوقف (رمزي) جهاز الكمبيوتر الصغير أمامه عن العمل ، ثم التفت إلى (نور) ، وقال :
— أنت محق أيها القائد .. بهذا التاريخ النفسي ،
من المستحيل أن يقدم رجل مثل الدكتور (فؤاد) على القتل .

تنهّد (نور) في ارتياح ، وقال :
— كنت مُوقِنًا من ذلك يا عزيزي (رمزي) ،
ولكنني أردت استشارة خبير في الطب النفسي .
قال (محمود) ، وهو يعدل وضع منظاره الطيّ :
— هذا يعني أن قصة الدكتور (فؤاد) صادقة
يا (نور) .

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :
— إنني لم أشك في هذا لحظة يا (محمود) .

قاطعته النقيب ، وهو يكمل العبارة في دهشة :

— أن القاتل الأزرق قد هبط على السطح .
ثم هزّ رأسه في قوة ، وكأنه يرفض الاعتراف
بالفشل ، وقال :

— إنه مجرد افتراض بالطبع .
وقف (نور) يتأمل بقعة الوقود المتخلف ، ثم
ابتسم ابتسامة تفيض عزمًا ، وحماسًا وهو يقول في
بطء ، يحمل رثة النصر :

— لقد أحسنت التنبؤ منذ البداية أيها النقيب ،
يبدو أن المخبرات العلمية ستولّى رسميًا هذه العملية ،
وأن القضية ستبدأ الآن .

قالت (سلوى) :

— ما سر ذلك القاتل الأزرق اللون إذن ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

— ستأتى الإجابة عن هذا السؤال فى نهاية قائمة

من الأسئلة يا (سلوى) ، فقد بذلت مجهودًا رهيبًا ،

لإقناع القائد الأعلى أن تحتضن المخبرات العلمية هذه

العملية ، وبذل هو بدوره جهدًا مماثلًا لإقناع رئيس

الوزراء ، فجرائم القتل عادة لا تدخل فى نطاق عمل

المخبرات العلمية .

هزّت (سلوى) رأسها علامة الفهم ، وقالت :

— وما السؤال الأول فى قائمتك يا (نور) ؟

رفع (نور) ذقنه قليلًا ، وبدأ لحظات وكأنه

استغرق فى التفكير تمامًا ، ثم قال :

— حينما صرخ القتيلى قبيل مصرعه ، كان يهتف أنه

لن يخبر أحدًا ، هذه هى العبارة الوحيدة التى سمعها

الدكتور (فؤاد) ، وهى تعنى أن القتيلى وهو عالم آثار

قديم ، يُدعى (وليد عبد الحكيم) ، كان يعرف جيدًا
من هو قاتله ذو الوجه الأزرق ، بل إن لونه لم يثر انتباهه ،
وإنما فهم على الفور أنه ينوى قتله ، من أجل شىء ما
يعلمه ، فى حين أن مصلحة ذلك القاتل الأزرق تقضى
أن يظل ذلك الشىء مجهولًا للجميع .. وهكذا نجد أن
السؤال الأول الذى يفرض نفسه هو لماذا ؟ .. لماذا قُتل
عالم الآثار ؟ .. وإجابة هذا السؤال تحتاج إلى بحث طويل
فى حياة الرجل العائلية والمهنية ، وهذا ما سنبدأ به
بجسنا ، فسأتوجه أنا و (سلوى) للحديث مع زوجته
وابنته ، على حين تتجه أنت يا (رمزى) ، بصحبة
(محمود) إلى هيئة الآثار ، حيث كان يعمل ، وتذكروا
أن مهمتنا تقتضى جمع أكبر قدر من المعلومات عن
(وليد عبد الحكيم) ، فهذه المعلومات ستكون الخيط
الوحيد الذى يقودنا إلى حل لغز (الموت الأزرق) .

وقفت زوجة عالم الآثار القتيلى تتأمل (نور)

و (سلوى) بعينين حزينتين ، ثم مسحت دموعه ترفرفت
من عينها ، وقالت :
— وماذا تفيد التحريات أيها الرائد ؟ .. لقد خسرناه
إلى الأبد .

أجابها (نور) في لهجة هادئة ، قوية :
— لن نترك قاتله يمرح حرًا طليقًا يا سيدي .
صاحت ابنة العالم :

— نعم أيها الرائد .. لن يبقى قاتل والدي حرًا .
جففت زوجة العالم دموعها ، وقالت :
— سمعت في جريدة أنباء الفيديو ، أنهم قد ألقوا
القبض على القاتل بالفعل .

هز (نور) رأسه نفيًا ، وقال :
— لقد ثبتت براءته يا سيدي ، ونحن نبحت عن
القاتل الحقيقي .

فتحت فمها تهم بالحديث ، إلا أن (نور) بادرها
بسؤال مباشر :

— هل بدا زوجك (رحمه الله) مضطربًا في الآونة
الأخيرة يا سيدي ؟

هزت الزوجة كتفها ، وقالت :

— لست أدري .. ربما .

قاطعتها ابنتها قائلة :

— نعم أيها الرائد ، لقد بدا والدي مضطربًا قلقًا ،

منذ عودته من رحلته الأخيرة ، ولقد تسبب شروده

وقلقه في ذلك الحادث الذي هشم عظام ساقه

اليسرى ، وأرسل به إلى مستشفى (مرسى مطروح)

حيث لقي مصرعه .

استدارت إليها (سلوى) بكل فضولها واهتمامها ،

وسألتها :

— وأين كانت رحلته الأخيرة هذه ؟

أجابتها الفتاة :

— على مشارف جبال الصعيد ، بالقرب من قرية

صغيرة من قرى محافظة (قنا) ، تسمى (أولاد

هزّت الزوجة والابنة رأسيهما نفيًا ، وقالت
الزوجة :

— إنه (رحمه الله) لم يعتد التحدّث إلينا عن شئون
عمله .

ظهر التفكير العميق على وجه الابنة ، وهي تقول :
— صحيح أنه لم يخبرنا عما يبحث ، ولكنني
دخلت إليه مرة في حجرة مكتبه ، وكان منهما في قراءة
موضوع عجيب ، أثار انتباهي جدًا .

سألها (نور) في اهتمام :

— أي موضوع هذا ؟

ابتسمت ابتسامة خجلى ، وكأنها تخشى سخريتهما ،

وقالت :

— أعتقد أنه موضوع يتعلّق بإناس ذوى بشرة
زرقاء ، أهل أطلانتس القدامى .

عمرو) .. لقد ذهب ينقّب عن قبر الحكيم الفرعوني
الشهير (أمحتب) ، ولكنه عاد قبل أن يتم الحفر ، عاد
مضطربًا قلقًا ، وأكاد أجزم أنه لم يذوق طعم النوم منذ
ذلك الحين ، فقد كان يقضى وقته كله في فحص ،
ودراسة كل مالديه من مراجع عن الحياة المصرية
القديمة ، حتى سقط من فوق السُّلم وهو يتناول مخطوطًا
أثريًا من أعلى رفوف مكتبته ، وتهشمت ساقه .

قطّب (نور) حاجبيه ، وقال :

— السقوط من أعلى سُلّم قد يكسر الساق ،

ولكنه لا يهشّمها يا فتان .

مطّت الفتاة شفيتها ، وقالت :

— لست أدري شيئًا عن النواحي الطيبة ، ولكن

هذا ما حدث .

سأل (نور) :

— ألم يخبركما عمّا كان يبحث ؟

٥ - المعبد الملعون ..

هز مدير هيئة الآثار رأسه أسفاً ، وهو ينظر إلى
(رمزي) و (محمود) في رثاء :
- لقد خسرت الهيئة ذلك العالم تماماً أيها
السيدان .. لقد كان (رحمه الله) من أكثر علماء الآثار
إخلاصاً لعمله ، وكاد يحصل على جائزة (حورس) لولا
رحلته الأخيرة .

سأله (رمزي) :

- ماذا فعلته رحلته الأخيرة يا سيدي ؟

عاد مدير هيئة الآثار يهز رأسه أسفاً ، ثم قال :

- لقد ظل يبحث سنوات عن مقبرة الحكيم المصري

القديم (أمحتب) ، صاحب تصميم بناء الهرم الأكبر ،

وصاحب أكبر قدر من العلوم والخبرات ، الطيبة

والهندسية والعلمية والفلكية في مصر القديمة ، وأخيراً

أعلن أنه قد توصل إلى كشف مكانه ، وخرج على رأس
بعثة إلى منطقة جبلية بالقرب من قرية (أولاد عمرو) في
محافظة (قنا) ، وقد بدأ الحفر بالفعل ، ويدعى بعض
العمال الذين صاحبوه أنه قد عثر على مدخل معبد أثرى
بالفعل ، وأنه قد هبط إليه وحده ، ثم عاد عدواً ،
والخوف مرتسم على ملامحه ، المهم أنه أمر بإغلاق
المعبد ، وردمه مرة ثانية بالرمال ، ثم عاد إلى هنا ، ورفض
الإفصاح عن موقع المعبد ، وقدم استقالته من هيئة
الآثار ، وحينما حاولت إثناؤه كنت كمن يتحدث إلى
حجر أصم ، ولكنني رفضت استقالته رفضاً تاماً ،
فغادرتني غاضباً ، ولم أره منذ ذلك الحين .

سأله (محمود) :

- ومتى كان ذلك بالضبط يا سيدي ؟

رفع مدير الهيئة رأسه مفكراً ، ثم قال :

- لقد كان ذلك في الخامس من أكتوبر ، أي منذ

شهر كامل بالضبط .

سأله (رمزي) في اهتمام كبير :

— ألم يشر إلى شيء ما وجدته في ذلك المعبد ؟ ..
شيء ما أو .. أو شخص ما ؟

نظر إليه مدير الآثار في دهشة ، ثم ضحك وهو
يقول :

— شخص ما في معبد مغلق منذ آلاف السنين ،
لا ريب أنك تمزح يا دكتور (رمزي) .

ثم عقد حاجبيه ، مستطردًا في جدّ ووقار :
— ولكنني لست أشك في أنه وجد شيئًا مخيفًا أو
مريبًا هناك ، فقد رفض تمامًا الإفصاح عن موقع ذلك
المعبد ، أو وصف ما وجدته بداخله ، كل ما قاله حينما
ألحفت عليه هو أنه معبد ملعون ، .. معبد أزرق ملعون .

اجتمع أفراد الفريق في منزل (نور) ، وقصَّ كل
منهم ما لديه على الآخرين ، ثم ساد صمت قلق بعض
الوقت ، قبل أن تقطعه (سلوى) بقولها :

— عجبًا .. إن كل ما يحيط بهذا اللغز أزرق اللون .
غمغم (نور) وهو يفكر :
— هذا يؤكد أننا نسير في الطريق الصحيح
يا (سلوى) .

هزَّ (محمود) رأسه في حيرة ، وقال :
— لست أفهم سرَّ هذا اللون الأزرق حقًا يا رفاق .
قال (نور) في اهتمام :

— إنه واحد من الألوان الباردة في عالم الفن
يا صديقي ، ولكنه ارتبط في عقول الناس بالسحر
والغموض والرعب ، فأنت تجد أن الأساطير القديمة
تتحدث عن آلهة زرقاء ، ورجال زرق البشرة يحكمون
(أطلانتس) ، القارة الغارقة المفقودة ، تجد أن الملوك
والنبلاء في أوروبا يوصفون بأنهم من ذوى الدم الأزرق ،
وتجد امرأة موهوبة في قبائل العرب تدعى (زرقاء
الجمامة) ، كان باستطاعتها رؤية جيوش تهاجم على بعد
آلاف الأميال في الصحراء ، أو هي كانت تتبأ بذلك

لا أحد يدري ، حتى مخرجوا أفلام الرعب يلجئون إلى
جعل بشرة الوحوش والشياطين زرقاء ، وكأن شيئاً ما
في أعناقهم يدفعهم إلى ذلك ، إن الرعب الأزرق ،
يا صديقي قديم قدم الأزل (*) .

غمغمت (سلوى) ، وقد بدأت تشعر بخوف
مُبهم :

— ولكن لماذا ؟.. لماذا يثير اللون الأزرق كل هذا
الفرع على مرّ العصور ؟
مطّ (نور) شفّيته ، وقال :

— من يدري يا عزيزتي ؟.. إن اللون الأزرق في رأبي
هو لون كل جميل ، فهو لون السماء والبحر ، ولكن
شيئاً ما أزرق اللون أثار الرعب منذ عشرات القرون ،
وظلت ذكرى هذا الرعب تنتقل عبر الأجيال ، وكما يقول
المثل : « لا يوجد دخان بلا نار » .

(*) كل المعلومات الواردة في هذا الجزء صحيحة تماماً ، ومدونة في
كل المراجع التاريخية .

ابتسم (رمزي) وهو يقول :

— ولكن العلم الحديث يؤكد أن بعض المواد
الكيميائية يمكنها أن تنتج الأدخنة بلا نيران أيها
القائد .

صمت (نور) لحظة متأملاً العبارة ، ثم غمغم :
— من يدري يا (رمزي) ؟.. ربما .
ثم رفع سبّابته أمام وجهه ، وقال :
— شيء واحد يمكنه حسم مثل هذا الأمر .
نظر إليه الجميع في تساؤل ، فأردف وهو يضرب
سبّابته بإبهامه في قوة :
— أن نساfer إلى قرية (أولاد عمرو) . ونعيد
البحث عن المعبد الملعون .

صاحت (سلوى) في دهشة :

— هل سنتحوّل إلى علماء آثار ؟

أجابها في جدّة :

٦ - أرض الخطر الأزرق ..

تأمل رئيس هيئة الآثار بمحافظة (قنا) وجوه أفراد الفريق ، ثم توجه بحديثه إلى (نور) قائلاً :
- أنت تطلب مطلباً عسيراً أيها الرائد ، فلقد تولّى الدكتور (وليد) عملية البحث بأكملها ، واختار معاونيه بنفسه ، وهم عادةً من خارج الهيئة ، مجرد عمال حفر وتنقيب ، ولن يمكننى العثور عليهم بسهولة .

أجابه (نور) فى هدوء :

- يكفينى العثور على واحد منهم فقط يا سيدى .

قال رئيس الهيئة ، فى لهجة أقرب إلى الحدة :

- وماذا تريدنى أن أفعل ؟ .. أنشر إعلاناً

بالصحف والمجلات ؟!!

قالت (سلوى) فى ضيق :

- نعم يا عزيزتى ، سننبش الأرض بحثاً عن حل هذا اللغز ، سننبشها فعلاً ، إلى أن ننجح أو نرى بأعيننا ذلك (الموت الأزرق) .



— لا تعقد الأمور يا سيدي ، إننا نبحث عن قاتل
الدكتور (وليد) ، وهذا لن يتأتى إلا بالعثور على
المنطقة التي عثر فيها على المعبد الملعون .

شحب وجه رئيس الهيئة ، وقال :

— معبد ملعون؟! .. أى معبد هذا ؟

أجابه (نور) :

— زوجتى تقصد مقبرة (أمحتب) يا سيدي .
ظهر الاعتراض على وجه رئيس الهيئة ، ولكنه قبل
أن ينطق بكلمة واحدة ، اندفع مساعده الشاب
يقول :

— أنا أعرف واحداً من هؤلاء العمال أيها السادة .
التقت العيون عند وجه المساعد الشاب ، الذى
أردف فى ارتباك :

— لو أنكم تصرّون على الذهاب إلى هناك ، فأنا
واثق من قدرتى على إقناعه بمرافقتكم ، ولكنه لن يبقى
معكم إذا ما حل المساء .. فمنذ حادث ردم المعبد

انتشرت شائعة تقول : إن هذا المكان ملعون .. ملعون
إلى الأبد .

اعترف أفراد الفريق فى قرارة أنفسهم بالرهبة التى
يبعثها المكان ، إذ كان منطقة فسيحة منبسطة ،
لا تحوى سوى بضعة أحجار متناثرة هنا وهناك ، تحيط به
الجبال المرتفعة إحاطة السوار بالمعصم ، إلا من ممرات
صغيرة تقود إلى الوادى الواسع ، وأشار الدليل إلى
منطقة اختفت من حولها وفوقها الأحجار الصغيرة ،
وقال فى صوت لم تختف منه رئة الخوف :

— هذا هو الوادى الملعون ، وتلك المنطقة الخالية
من الأحجار فوق المعبد تماماً .

سأله (رمزى) :

— كم قدماً حفرتم للوصول إليه ؟

هزّ الرجل كتفيه ، وقال :

— لست أدري يا سيدي ، ولكن الحفراستغرق يوماً واحداً للوصول إلى بوابة المعبد .

تلفتت (سلوى) حولها في قلق ، وقالت :
— هذا يعنى أنه قريب للغاية .

قال (محمود) فى اهتمام :

— يمكننا العثور عليه باستخدام الترددات

المرتدة (*) .

عقب (نور) على قوله قائلاً :

— هذا ما سنفعله على الفور يا رفاق ، أعدوا

أجهزتكم .

ظهر مزيج من الرعب والدهشة على وجه الدليل ،

وهتف فى فزع :

— ولكن الشمس على وشك المغيب .

(*) أسلوب يستخدم للكشف عن المواد الصلبة فى باطن الأرض ، حيث ترسل موجة صوتية عالية التردد ، ثم تستقبل الموجات المنعكسة ، فترسم صورة للمواد الصلبة التى ارتطمت بها الموجة الأولى .

استدار إليه (نور) ، وقال فى غضب :

— ماذا أصابك يا رجل ؟! .. إننا الآن فى القرن

الحادى والعشرين ، ولقد حطّم التطور التكنولوجى كل

هذه الخرافات .. أما زلت تخشى الظلام !؟

تلفت الرجل حوله فى فزع ، وكأنه يخشى أن تهاجمه

الأشباح ، وصاح :

— إنها ليست خرافات يا سيدي .. لقد شاهدتهم

عدد كبير من الناس .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

— من هم هؤلاء الذين شاهدتهم عدد كبير من

الناس ؟

ارتجف جسد الدليل المسكين ، وهو يقول :

— الأشباح يا سيدي ، الأشباح ذات الوجوه

الزرق .

داعبت (سلوى) أزرار جهازها ، ثم التفت إلى
(نور) وسأله :

— لماذا تركته ينصرف (يانور) ؟ كان من الأفضل
أن يقص علينا أسطورة الأشباح الزرق هذه .

ابتسم (نور) وهو يقول :

— كل ما سيفعله هذا هو أن يزيد من مخاوفنا
يا عزيزتى ، ثم إننى لا أصدّق حرفًا واحدًا مما يقال فى
هذا الشأن .

تدخّل (رمزى) قائلاً :

— ليتنى لى ثقتك هذه أيها القائد ، إننى أشعر وكأن
الأشباح تحيط بى من كل جانب .

أضاف (محمود) ، الذى انتهى من إعداد خيمتين
للمبيت :

— هذا ما يراودنى أنا الآخر .

أطلق (نور) ضحكة عالية ، وكأنه يحاول التغلّب

على قلقه ، وقال :

— مهلاً يا رفاق ، لقد أتينا لتحطيم هذه

الأسطورة ، لا للخوف منها .

وفجأة هتفت (سلوى) :

— يا إلهى !! انظروا .

التفت الجميع إلى حيث تشير (سلوى) ، فوقعت

أبصارهم على سيارة صاروخية تقترب من موقعهم

بسرعتها القصوى ، وقبل أن ينطق أحدهم بكلمة ،

توقفت السيارة أمام مخيمهم الصغير ، وقفزت منها

(مشيرة محفوظ) ، وهى تحمل آلة التصوير الجسم

الصغيرة ، وتقول فى لهجة ساخرة متشفية :

— مرحبًا أيها السادة ، هل يضايقكم أن أشارككم

كشفكم هذا ؟

كان الظلام قد ساد تمامًا فى الوادى الملعون ، إلا من

المصاييح التى أوقدها أفراد الفريق فى مخيمهم الصغير

المكوّن من خيمتين ، وعدد من الأجهزة الاليكترونية

الحديثة ، وداخل واحدة من الخيمتين جلس أفراد
الفريق بصحبة (مشيرة) التي كانت تقول في عناد :
— كلاً أيها الرائد ، لن أغادر هذا المكان إلا حين
مغادرتكم له ، لقد أتيت بحثاً عن خبر الموسم ، ولن
أراجع عن هذا .

سألها (نور) في هدوء :

— وماذا لو أننا لم نتوصل إلى شيء ما ؟

ابتسمت في سخيرية وهي تقول :

— حسناً .. سأحمل كل النتائج بشجاعة .. ثم

إنني أوقن أنه مادام الرائد (نور) هنا ، فلا ريب أننا
أمام لغز غامض .

ظهر الضيق على وجه (سلوى) ، على حين رفع

(نور) حاجبيه دهشة ، وقال :

— ربما أننا أمام نوع من الغموض العلمي ، ولكنه

ليس لغزاً على الإطلاق .

عقدت (مشيرة حاجبها) في غضب ، وسألته في

حدة :

— لِمَ أتيم إلى هنا إذن ؟ للنزهة ؟! .. إنكم تبحثون
عن قاتل وهمي أزرق البشرة ، وصحيح أنني لا أثق في
وجود مثل هذا الشيء ، ولكنني أثق في حصولي على
قصة جيدة مادمت أصحابكم .

قال (محمود) في ضيق :

— ليتنا نكون في مثل ثقتك بعدم وجود ذوى الوجوه

الزرق هؤلاء .

أطلقت (مشيرة) ضحكة ساخرة قصيرة ،

وقالت :

— إنني مستعدة للمراهنة على عدم وجودهم

بوظيفتي أيها الشاب .

ثم حملت حقيبتها واندفعت خارج الخيمة ،

مستطردة :

— وإني أتحدّاهم أن يروني وجوههم .

ولم تكذب تم عبارتها ، حتى توقفت الكلمات في

حلقها ، وارتجف جسدها ارتجافاً قوية عنيفة ، وجمحت



فهنالك على بعد خطوتين منها كان يقف رجل أزرق اللون ،
أحمر العينين ، يحذق في وجهها بغضب ..

عيناهما رعبًا وذهولًا ، وسقطت حقيبتها وآلة التصوير من
يدها .. فهناك على بعد خطوتين منها كان يقف رجل
أزرق اللون ، أحمر العينين ، يحذق في وجهها بغضب
ومقت ، وهو يرفل في عباءة بلون الليل .
وبكل ماتمك من قوة ، وبكل ما بقى لديها من
وعى ، أطلقت (مشيرة محفوظ) صرخة رعب ارتجت
لها الجبال في وادي الموت الأزرق .



٧ - وبدأ الصراع ..

انتزعت صرخة (مشيرة) المدوية أفراد الفريق من مقاعدهم انتزاعاً ، واندفعوا إلى خارج الخيمة ، ولكنهم تسمروا جميعاً دفعة واحدة ، وتراجع (محمود) في حدة جعلته يتعثر ويسقط أرضاً ، وسقطت فك (رمزي) السفلى وجحظت عيناه ذعراً ، وأطلقت (سلوى) شهقة خافتة وهي تتعلق بذراع (نور) ، الذي اتسعت عيناه دهشة وقلقا ، وهو يتأمل الرجل الأزرق ، الواضح القوة ، الذي التفت يتأملهم في هدوء مخيف .. وكتمت (سلوى) صرخة رعب ، ماجت في أعماق صدرها ، حينما استدار ذلك المسخ بجسده كله إليهم ، متجاهلاً (مشيرة) التي تراجعت في رعب وهي تكتم فمها بكفياً ، وكأنها تخشى أن يعود إليها ذلك الوحش الأزرق ، إذا ما أفلتت من شفيتها كلمة واحدة ..

وفي خطوات بطيئة مخيفة ، تحرك الرجل الأزرق نحو (نور) ، وفريقه ، وتركزت عيناه الحمران بلون الدم على وجوههم ، وقرأ فيهما الجميع نداء الدم ، وصرخت (سلوى) :

— يا إلهي !! إنه يهاجمنا يا (نور) .

شعر (نور) أن العملية ستنتهي بأكملها ، بسبب الخوف الذي انتاب الجميع لدى رؤيتهم هذا المسخ ، ذا الوجه الأزرق والعينين الدمويتين ، وفي غمرة حماسه ورغبته في النصر ، اندفع (نور) نحو الرجل الأزرق ، وكال له لكمة أودعها كل ما يملك من قوة ، وبدأ الصراع .

هل جرّب أحدكم أن يلکم حائطاً من الصلب بقبضته العارية ؟ .. هذا تماماً ما خيّل لـ (نور) أنه قد فعل ، فلقد هوى بكل ما يملك من قوة على فك الرجل الأزرق بقبضته ، ولكنه شعر بقبضته تكاد تهشم ،

دون أن يهتز صاحب الوجه الأزرق قيد أئمة ، وكان لهذا تأثير مخالف تمامًا لما كان ينتظره (نور) ، إذ أن هجومه هذا دفع مزيدًا من الرعب في قلوب رفاقه ، وصحفية (أبناء القيديو) ، فأطلقت (سلوى) صرخة خوف وهي تهتف باسم زوجها ، وتراجعت (مشيرة) وهي تصرخ :

— كلاً .. كلاً .. هذا مستحيل .

وتردد (محمود) و (رمزي) لحظة ، ثم تبادلوا النظرات ، واندفعوا في محاولة لمعاونة (نور) ضد خصمه ، وانقض الثلاثة ، (نور) و (رمزي) و (محمود) على الشبح الأزرق ، وشعر (نور) بقبضة فولاذية زرقاء ترفعه من سترته الجلدية ، وتلقى به على بعد ثلاثة أمتار ، وسقط (محمود) إثر ضربة في صدره ألقت به عدة أمتار إلى الوراء ، وحاول (رمزي) أن يتفادى اليد الزرقاء المعروقة ، ولكن المسخ الأزرق جذبته من شعره ، وطوّح به بعيدًا في بساطة ، كما لو كان يقذف حجرًا صغيرًا ..

وتحرك الرجل الأزرق نحو (سلوى) ، التي تراجعت في رعب هائل ، واحتبس صوتها من شدة الدعر ، ورأى (نور) زوجته في هذه الحالة من الفزع ، فانطلق نحو الرجل الأزرق ، وقفز متعلقًا بعنقه من الخلف ، وكان له لكمة كالقنبلة في مؤخرة عنقه ، ولكن الرجل لم يهتز ، أو يبدو عليه أي أثر للضربة القوية ، كل ما فعله هو أنه أدار ذراعه إلى الخلف ، وقبض على سترة (نور) ، ثم جذب هذا الأخير بقوة تكفى لرفع سيارة كاملة ، فانترعه من خلفه وألقى به بعيدًا ، وسقط (نور) على ظهره وسط الحصى والحجارة الصغيرة ، وشعر بها تمزق سترته ولحمه ، ورأى الرجل الأزرق يواصل تقدّمه نحو (سلوى) ، التي شحب وجهها حتى بدا وكأنه قد خلا تمامًا من الدماء ، وتسمّرت قدمها في مكانها ..

وفي محاولة أخيرة لإيقاف هذا الوحش المدمر ، أخرج (نور) مسدسه الليزري ، وأطلق دفعة من أشعته القاتلة نحو الرجل .

ارتطمت دفعة الأشعة بمؤخرة عنق المسخ الأزرق ،
ثم ارتدت عنها كما يحدث للضوء حينما يسقط على مرآة
لامعة ، واستدار الرجل إلى (نور) ، وحدجه بنظرة
نارية من عينيه الحمراءين بلون الدم ، نظرة تفيض غضبًا
وقسوة ، ثم تخلى عن متابعة (سلوى) ، وتحرك نحو
(نور) بخطوات بطيئة مخيفة ، وعاد (نور) يصوب
مسدسه إلى الرجل ، وبرغم كراهية (نور) الشديدة
للقتل والدمار ، إلا أن شيئًا ما في أعماقه كان يصرخ أن
قتل هذا الشيطان الأزرق هو حياة رفاقه .. وبلا تردد

أطلق (نور) الدفعة الثانية من مسدسه الليزري بين
عينى الوحش الأزرق ، وأطلقت (مشيرة) صرخة
مكتومة حينما ارتدت هذه الدفعة أيضًا ، دون أن تؤثر في
المسخ ، الذى أصبح على بعد خطوات قليلة من
(نور) ، وأطلق (نور) دفعته الإشعاعية الثالثة بين
ذراعى المسخ ، وفي حركة غاضبة ، أطاحت الكف
الزرقاء المعروفة بمسدس (نور) ، ثم أطاحت به ذراعا
المسخ في قوة .

صاح (نور) في حِدة :

— بل ماذا أصابكم أنتم ؟ هل نسيتم ما واجهناه في وادي الرعب ؟

أوقف (رمزي) السيارة على جانب الطريق ،
والتفت نحو (نور) يتأمله في قلق ، قائلاً :

— صدّقني يا (نور) ، أنت تثير قلقنا بالفعل .
صاح (نور) في حِدة :

— أي قلق هذا ؟ ولماذا تعاملونني هكذا وكأنني مجنون ؟
تبادل الثلاثة النظرات ، ثم قال (رمزي) وهو يُرَبِّت على كتفه في حنان :

— عزيزي (نور) ، إننا لم نواجه رجلاً زرقاً أو غيره ، لأننا ببساطة لم نصل إلى وادي الرعب ، بل لم نذهب حتى إلى (قنا) !!

باسل

www.dvd4arab.com

طريق الصعيد في دهشة ، وسمع (سلوى) تقول في صوت حنون :

— هل استيقظت يا (نور) ؟

التفت إليها (نور) في دهشة ، وتأمل ملامحها الهادئة الباسمة ، ثم هتف :

— يا إلهي !! كيف نجونا جميعاً ؟

تطلّع إليه (محمود) و (رمزي) و (سلوى) في دهشة ، وسأله (رمزي) :

— نجونا من ماذا أيها القائد ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأله في حِدة :

— هل أصابكم شيء ما ؟ .. إنني أسألكم عن ذلك الرجل الأزرق الذي هاجمنا و ..

قاطعته (سلوى) ، وهي تسأله في حنان يمتزج بالقلق :

— هل أنت متعب يا (نور) ؟ .. هل أصابك كابوس ما ؟

للتمييز بين الحقيقة والخيال ، وكل ما حدث كان
حقيقاً .

ساد صمت ثقيل داخل السيارة ، وتبادل أفراد
الفريق نظرات حيرى ، ثم أدار (رمزى) محرّكات
السيارة ، وهو يقول فى هدوء :

— حسنًا يا (نور) ، سيحسم رجال هيئة آثار
(قنا) هذا الخلاف ، سنتوجّه إلى هناك على الفور .
عقد (نور) حاجبيه ، وأطبق شفثيه وهو يراقب
الطريق صامتًا ، وقد بدأ بصيص من الشك يتسرّب إلى
عقله ، ويسيطر على حواسه .

حدّق رئيس هيئة آثار (قنا) فى وجه (نور)
بدهشة ، ثم غمغم وهو يهزّ رأسه فى خيرة :
— كلاً أيها السادة .. من المؤكد أننى لم ألتق بهذا
الرائد من قبل ، لا بالأمس ولا فى أى يوم آخر .
قال (نور) فى غضب :

٨ — حلم ليلة زرقاء ..

اخترقت عبارة (رمزى) أذن (نور)
كالرصاصة ، وانتفض جسده فى شدة قبل أن يحدّق فى
وجوههم ، صائحًا :

— ماذا تعنون بأننا لم نصل إلى (قنا) بعد ؟ .. لقد
ذهبنا صباح أمس إلى هيئة الآثار هناك ، وقدّمنا مساعد
رئيس الهيئة إلى دليل ، قادنا إلى حيث وادى (أولاد
عمرو) ، وهناك لحقت بنا (مشيرة محفوظ) و ..
قاطعته (رمزى) ، وهو يغمغم فى لهجة أقرب إلى
الشفقة :

— ربّاه !! هل أنت محموم يا (نور) ؟

صرخ (نور) فى غضب :

— كفى يارفاق ، إنكم تتعاملون معى كما لو كنت
مصابًا بالهلوسة ، إننى أمتلك الصفاء الذهنية الكافية

— هكذا؟! .. بَمَ تبرّر إذن أننى أذكر ملامحك
جيدًا ، بل أعلم أنك تضع علبة سجائرك وقدّاحتك في
درج مكتبك الأيمن العلوى ، هذا ببساطة لأنك أشعلت
سيجارة أمس أمامى .

ظهر مزيد من الدهشة ، والتوتر في ملامح رئيس
الهيئة ، وتمتم في خفوت :

— هذا صحيح بالنسبة لعلبة السجائر والقّداحة ،
وإن كنت لا أدرى كيف توصلت إلى ذلك ، فأنا واثق
أننا لم نلتق مرة واحدة من قبل .
تبادل أعضاء الفريق نظرات الأسف والقلق ، ثم

قال (رمزى) فى صوت آسف :

— تقبل اعتذارنا ياسيدى ، فيبدو أن أعصاب
الرائد (نور) متوترة و ..

قاطعته (نور) فى حدّة :

— مهلاً يا (رمزى) .

ثم التفت إلى رئيس الهيئة ، مستطردًا :

— أين مساعدك الشاب ؟ .. هلى استدعى
الآ وجود له ؟

رفع رئيس الهيئة حاجبيه فى دهشة ، وقال :

— بل هو موجود أيها الرائد ، سأمره بالحضور
فورًا .

لم تكذ تمضى لحظات ، حتى ظهر المساعد الشاب
مجيئًا رئيسه ، وما إن رآه (نور) حتى تقدّم إليه
قائلًا :

— هل تذكرنى ياسيدى ؟ .. لقد أرشدتنا أمس إلى

دليل و ..

قاطعته المساعد الشاب ، وهو يهتف فى دهشة :

— أمس؟! .. ولكننى لم أرك سوى الآن

ياسيدى .. إننا لم نتقابل مطلقًا من قبل .

ظهرت الدهشة فى عينى (نور) لحظات ، ثم لم

تلبث أن تحوّلت إلى غضب عارم ، ووجد نفسه يتفجر

صائحًا :

— أنت كاذب ، كلكم كاذبون ، هذا مخطَّط لـ....

قاطعته (سلوى) ، وهي تقول في إشفاق :

— حتى نحن كاذبون يا (نور) ؟

استدار إليها في حدة ، ثم تردَّد لحظة ، لَوَّح بعدها

بكفيه وهو يقول في أسى :

— إننى لم أعد أفهم شيئاً .. لم أعد أدري

ما أصابنى .

جلس (نور) في حجرته بأحد فنادق (قنا) صامتاً ،

يفكر في عمق ، وإلى جواره جلست زوجته ، ورفيقاه

(رمزي) ، و (محمود) ، ولما طال الصمت قال

(محمود) :

— هل يورقك ما حدث إلى هذا الحد أيها القائد ؟

إنه مجرد حلم .

نظر إليه (نور) في صمت بضع لحظات ، ثم قال

في صوت خافت :

— لو أنه حلم ، فهو أكثر أحلامى قوة يا (محمود) ..

لقد تعرّفت وجهى رئيس هيئة آثار (قنا) ، ومساعدته

الشاب ، وكل شيء حتى تفاصيل الحجرة .

قال (رمزي) :

— ربما هو نوع من أحلام التنبؤ بالمستقبل ، والتي

تبدو لمن يراها وكأنها حقائق ، بكل ما فيها من مشاعر

وأحاسيس ، حتى الألم والإجهاد ، إنها نوع من تفرغ

كل ما يخزنه العقل الباطن من متاعب ، ثم هي أيضاً نوع

من الإلهام الخارق للعادة ، الذى يأتي فجأة دون سابق

انذار .

مطّ (نور) شفّيته في خيرة ، وهو يغمغم :

— ربّما .

قالت (سلوى) ، وهي تمرّ بأناملها على شعر

زوجها في رقة :

— أنت تحتاج لبعض الراحة يا (نور) ، فأنت

تجهد نفسك كثيراً في العمل .

ابتسم ابتسامة شاحبة ، وقال :

— أنت على حق هذه المرة يا (سلوى) ، إننى أحتاج إلى بعض الراحة ، سأرقد فى الفراش ، وأشاهد برنامج نهاية الأسبوع و....

قاطعته (سلوى) ، وهى تبسم فى حنان :

— لقد كان هذا البرنامج أمس يا (نور) ، إننا يوم

السبت لا الجمعة .

نظر إليها (نور) فى دهشة لحظة ، ثم لم يلبث أن

ابتسم ابتسامة بدت لها غامضة ، وهو يقول فى هدوء :

— السبت ؟ آه .. هذا صحيح .

ثم استرخى على فراشه ، وأسبل عينيه فى هدوء ،

فنهض (رمزى) ، و (محمود) ، وقال الأخير فى مرح

مصطنع :

— حسناً أيها القائد ، سنتركك ترتاح قليلاً .. إلى

اللقاء .

لوح (نور) لهما بكفه مودّعاً ، وقال لـ (سلوى) :

— أغلقى باب الحجرة ، واطلبى من إدارة الفندق

عدم إرسال أية مكالمات يا عزيزتى .

ولم تكذب (سلوى) تغلق الباب خلف (رمزى)

و (محمود) ، وتتوجّه إلى الحجرة الثانية لطلب إدارة

الفندق الآلية ، حتى قفز (نور) من فراشه ، وتناول

سترته من فوق مسند المقعد القريب ، وأدناها من وجهه

يفحص نسيجها فى دقّة واهتمام ، ولم يلبث أن تنهّد فى

ارتياح ، وهو يستعيد مشهد صراعه مع الرجل الأزرق ،

حينما ألقاه وسط الحصى والأحجار الحادة ، فهناك فى

ظهر السترة الجلدية جرت عدة إصلاحات متقنة

للغاية ، لإخفاء آثار بعض التمزّقات الصغيرة ، متقنة

للغاية ولكنها لم تغب عن عين فاحصة كعين (نور) .

٩ - المواجهة ..

انتظمت أنفاس (سلوى) ، بعد أن استغرقت في نوم عميق إلى جوار (نور) .. ولم يكده هو يتأكد من نومها ، حتى نهض من فراشه ، وتسَلَّل دون صوت إلى الحجرة الثانية داخل جناحه بالفندق ، وهناك نزع حزامه من سرواله ، ووضعته فوق مائدة تتوسط الحجرة ، وأوصل طرفيه بعضهما ببعض ، بحيث صنع منه دائرة ، وضغط زراً صغيراً يبدو كحلية أنيقة في الحزام ، ووقف صامتاً عاقداً ذراعيه أمام المائدة .

وفي هدوء انبثقت أربعة خيوط رفيعة من أشعة الليزر ، من أربع نقاط متعامدة في الحزام ، لتلتقى جميعها عند مركز الدائرة التي يصنعها ، وصنع التقاؤها ما يشبه ضباباً متعدّد الألوان ، ثم لم يلبث هذا الضباب أن

تكاثف ، مكوّناً صورة واضحة مجسّمة للقائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية .

رفع (نور) يده بالتحية العسكرية ، على حين سأله القائد الأعلى :

— ماذا حدث أيها الرائد ؟ .. هل توصّلت إلى شيء ما ؟

أجابه (نور) في هدوء :

— لقد توصّلت إلى أننا نواجه إنساناً غاية في القوة والذكاء والخطورة يا سيّدى ، وأنهم قد يمثلون خطراً لا على مصر وحدها ، بل على العالم أجمع .
ظهر مزيج من الدهشة والقلق على وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :

— يا إلهي !! إلى هذا الحد ؟

أوماً (نور) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم يا سيّدى .. والدليل على ذلك أنهم نجحوا في إسقاط يوم كامل من ذاكرة كل من يحيطون بي .

صاح القائد الأعلى ، وقد تعاظمت دهشته :

— يا إلهي !! ماذا تقول أيها الرائد ؟

أجابه (نور) :

— سأخبرك بكل ما حدث يا سيدي ، وستقدر أن

الأمر بالغ الخطورة بالفعل .

ساد الصمت بعض الوقت ، بعد أن انتهى (نور)

من قصته ، ثم قال القائد الأعلى :

— هل أنت واثق أنه ليس حلماً أيها الرائد ؟

ابتسم (نور) في ثقة ، وهو يقول :

— لقد وصل بي الأمر إلى الشك في هذا بعض

الوقت يا سيدي ، ولكنني تنبّهت في اللحظة المناسبة إلى

الخدعة ، لقد أسقطوا كل ما حدث أمس من ذاكرة

رفاقى ، ورئيس هيئة الآثار بـ (قنا) ، ومساعدته

الشاب ؛ وربما الدليل الذي قادنا إلى هناك أيضاً ،

ولكنهم عجزوا عن إسقاط اليوم من التاريخ ، وهذا

ما لن يبلغه بشر أو حتى شيطان قط .

سأله القائد الأعلى في اهتمام :

— ماذا تعنى أيها الرائد ؟

أجابه (نور) :

— لا ريب أنني بعد أن فقدت الوعي في الوادي

الملعون ، تعرّض رفاقي لعملية سيطرة عقلية تشبه التويم

المغناطيسي ، أو شيئاً من هذا القبيل . المهم أنهم تحت

تأثير هذه السيطرة العقلية قصّوا كل ما يتعلق بالفريق ،

وعملية البحث عن قاتل الدكتور (وليد) ، قصّوا كل

ما فعلناه حتى وصلنا إلى الوادي الملعون .. وهكذا بدأ

هؤلاء الشياطين الزرق في محو هذه الأحداث من ذاكرة

كل من اتصل بالأمر ، في محاولة للحفاظ على سرّ

وجودهم .

سأله القائد الأعلى :

— ألم يكن من الأسهل أن يقتلوكم ؟

ابتسم (نور) وقال :

— كان هذا بيثير عاصفة من الشكوك الجديدة
يا سيدي ، فهناك من لا يمكنهم الوصول إليه نحو الحادث
من ذاكرته ، مثلك مثلاً ، ورجال الشرطة ، وبعض من
تابعوا الحادث عن قرب ، لذا فمن الأسهل تركنا أحياء
وإعادتنا إلى الوراء يوماً كاملاً ، حيث نفشل هذه المرة في
العثور عمن يقودنا إلى حيث يختبئون ، ولكنهم لم يتمكنوا
من إعادة الزمن ؛ لذا فقد انطلقنا بسيارتنا الصاروخية
من القاهرة صباح الجمعة ، ووصلنا بحسب ما حاولوا
إيهامنا به إلى (قنا) ظهر السبت ، هذا اليوم الزائد هو
ما يحا من ذهني كل أثر للشك في حقيقة ما حدث ،
فالسيارة الصاروخية تقطع المسافة من القاهرة إلى قنا في
ساعتين على الأكثر ، لا في يوم وبعض يوم ، ثم إنه هناك
ما حدث لسُرتي ، لقد تمزقت في أثناء الصراع مع الرجل
الأزرق ، حينما ألقى بي فوق الحصى والحجارة الحادة ،
ولكنهم مداراة للأمر ، قاموا بإصلاحها في مهارة وإتقان ،

ولكن آثار الإصلاح لم تنزل واضحة للعين الفاحصة
المدققة .

ساد الصمت لحظة ، ثم عاد القائد الأعلى يسأل :

— لم تركوك دون أن يمحو الأمر عن ذاكرتك أيضاً ؟

مط (نور) شفثيه وهز كفتيه ، وهو يقول :

— ربما لأنني كنت فاقد الوعي ، أو ربما ليوهمني

بالجنون ، مما يدفعني إلى الخلود للراحة ، والتراجع عن

بحث الأمر بأكمله .

عاد الصمت يسود مرة ثانية ، ثم قال القائد الأعلى

في هدوء وصرامة :

— أنا أصدقك أيها الرائد ، أصدق كل كلمة

نطقت بها ؛ لأن ذلك يتفق تماماً مع حقيقة مخيفة .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأل :

— أية حقيقة يا سيدي ؟

أجابه القائد الأعلى :

— حقيقة أن (مشيرة محفوظ) الصحفية الشهيرة
بجريدة (أبناء الفيديو) المرئية ، قد ذهبت خلفكم إلى
(قنا) مساء أمس ، ثم انقطعت أخبارها منذ ذلك الحين .

مضت فترة طويلة من الصمت المفعم بالقلق
والتوتر ، قبل أن يهتف (نور) :
— إذن فهي لم تعد إلى منزلها !! .. لقد كنت أظنهم
أفقدوها الذاكرة أيضاً ، وتركوها تعود .
ثم رفع رأسه إلى أعلى ، وأغمض عينيه وهو يغمغم :
— يا إلهي !! يا للبشاعة !! هل ذهبت المسكينة
ضحية لهؤلاء الوحوش الزرق ؟

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، وهو يقول :

— من يدري يا (نور) ؟ لعلهم يحتاجون إليها
لإجراء بعض التجارب ، أو ما يشبه ذلك !

قال (نور) في حزم :

— سأبحث عنها يا سيدي ، سأفعل المستحيل
للبحث عنها ، حتى لو قاتلت هؤلاء الشياطين الزرق في
عقر دارهم .

قال القائد الأعلى محذراً :

— احترس يا (نور) ، إننا لا نعلم شيئاً بعد عن
طبيعة هؤلاء الزرق .

بدت كلمات (نور) حادة كالسيف ، وهو يقول :

— يكفي أن نعلم أنهم قتلة يا سيدي ، ألم يقتلوا

الدكتور (وليد) ؟

صمت القائد الأعلى مفكراً بعض الوقت ، ثم لم

يلبث أن هزَّ رأسه ، قائلاً :

— حسناً يا (نور) وفقك الله .. ولكن حاول أن

تتحاشى المخاطرة غير المحسوبة .

أجابه (نور) في هدوء وقوة :

— سأفعل يا سيدي بإذن الله .



تصوّب إليه مسدسه الليزري ، ومن عينيها تطل نظرة
نارية غاضبة ، تنبئ بأنها لن تتردد لحظة واحدة في قتله ..
قتل زوجها .



ابتسم القائد الأعلى ابتسامة أقرب إلى الرثاء ، على
حين بدأت صورته المجسّمة تتحوّل إلى ما يشبه
الضباب ، حتى تلاشت وسط مركز الدائرة ،
وانسحبت أشعة الليزر الأربعة إلى نقاط انطلاقها ،
وساد الصمت تمامًا في الحجرة ، ثم أسرع (نور)
يرتدى سرواله وقميصه ، وسترته الجلدية ، وعقد الحزام
حول وسطه ، ثم مَدَّ يده يبحث عن مسدسه الليزري ،
ولمّا لم يجده ظهرت الدهشة على وجهه وهو يغمغم :
— أين ذهب هذا السلاح اللعين يا ترى ؟
وفجأة .. سمع صوت زوجته تقول في لهجة أقرب
إلى الشماتة :

— هل تبحث عن هذا ؟

استدار (نور) إلى مصدر الصوت في حركة
حادة ، ثم لم يلبث وجهه أن اكتسى بمزيج من الدهشة
والضيق ، فقد وقع بصره على زوجته (سلوى) ،

١٠ - الإخوة الأعداء ..

ظل (نور) صامتًا يحدق في وجه زوجته بعض الوقت ، كانت تبدو وكأن الكراهية والحقد هما اللذان يجريان في عروقها مجرى الدم ، لم تكن في حالتها الطبيعية ، بل كان هناك ما يسيطر على عقلها ، ويدفعها لقتل أقرب الناس إليها .. زوجها .

حطم (نور) حاجز الصمت بينهما فجأة ، بقوله :

— هل ستقتلين زوجك يا (سلوى) ؟

خرج من بين شفثيها صوت عجيب أجش ، لا يشبه على أي نحو صوتها الحقيقي ، يقول بلهجة تفيض كراهية :
— لقد اقتربت من موطن الخطر ، ولا بد أن تموت أيها الأرضي .

اتسعت عينا (نور) دهشة حينما سمع كلمة (الأرضي) هذه ، وتفتق ذهنه فجأة عن نوع خصومه ،

وشاهد زوجته تضغط زناد مسدسه الليزري دون تردّد .. شاهد أصابعها تتجه إلى الضغط على الزناد ، وقرّر أن يتحرك .. قرّر أن ينقذ الكرة الأرضية ، حتى ولو أدى الأمر إلى قتل أحب المخلوقات إليه في الكون بأكمله .. زوجته .

انطلقت دفعة أشعة الليزر من مسدس (نور) ، الذي تطلقه (سلوى) ، بعد جزء من الثانية من تحرك (نور) ، الذي قفز إلى اليسار ، وانحنى إلى أسفل ، وراوغ يمينه ويسرة ، ثم انقض على زوجته ، يقبض على معصم يدها المسككة بالمسدس الليزري ، ويشل حركتها بكل ما يملك من قوة ..

أدهشه الأمر كثيرًا ، فبرغم ضآلة جسد (سلوى) ، وبرغم قوته البدنية التي تفوقها بمراحل شتى ، إلا أنها قارمته في قوة مذهلة ، قوة تفوق حتى ما يمكن أن تتجه عضلاتها ، ولو تمزقت في النهاية ، ووجد (نور)

نفسه مضطراً لحشد كل قواه في محاولة التغلب على زوجته ، التي تحولت إلى نمرّة شرسة مفترسة ، وهي تجاهد لإفلات قبضتها من قبضته ، وإطلاق أشعة الليزر على رأسه ..

وأخيراً دفع (نور) كل المشاعر الحلوة التي تربطه بزوجه بعيداً ، وكال لها لكمة قوية جعلتها تصرخ في ألم ، ثم سقطت فاقدة الوعي .

نهض (نور) والخيرة تمتزج بالألم والأسى في ملامحه ، وحمل زوجته التي فقدت وعيها في صمت إلى فراشها ، حيث أرقدها في هدوء ، وانتزع مسدسه الليزرى من قبضتها ، ووقف صامتاً إلى جوار الفراش ، ثم غمغم في حزن :

— سأعود لأخلّصك من كل هذا يا عزيزتى ، سأعود بعد أن أنتصر على أصحاب الوجوه الزرق هؤلاء .

وفجأة .. انتفض جسده في قوة ، وشعر بحرق بالغ يملاً أطرافه ، فقد سمع من خلفه صوتاً أجش ، مشابهاً

لذلك الصوت المقيت ، الذى خرج من بين شفتى (سلوى) ، يقول في نغمة تفيض كراهية وبغضاً :

— إنك لن تخطو خطوة واحدة أيها الرائد .

استدار (نور) في هدوء إلى مصدر الصوت ، وتطلّع في حزن إلى (رمزي) ، و (محمود) ، اللذين وقفا يسدان باب الغرفة ، وفي عيونهما كل علامات الشرور والكراهية . كان على (نور) أن يعلم أنه لكي يصل إلى أصحاب البشرة الزرقاء ، عليه أن يواجه رفاقه ، وأن يعاملهم هذه المرة كالأعداء .

لم يكن أى من (رمزي) و (محمود) يحمل سلاحاً ، ولكن (نور) كان يعلم من صراعه مع (سلوى) ، أن عليه أن يواجه شائين ، تضاعفت قواهما إلى نحو مخيف ، وأن صديقيه لن يألوا جهداً لقتله ، إذا ما أمكنهما ذلك ، وأن أحدهما لن يذرف عليه دمعة واحدة ، في ظل هذه السيطرة العقلية ، التي

حولتهما إلى مخلوقين غاضبين شرسين ، لاهمّ لهما إلا
القتل والدمار ، وتحطيم بنى جنسهم ، من أجل أن يسود
الجنس الأزرق القادم من أعماق الكون .

وفي هدوء من يعلم عدم جدوى النقاش ، اتخذ
(نور) وضعا قتالياً ، وباعد ما بين ساقيه ، وضم
قبضته في قوة وهو ينتظر الخطوة الأولى من صديقيه .
وبغته بدأ القتال ، وانقض (رمزي) ، و (محمود)
على (نور) كالصاعقة ، وأطلق هذا الأخير صرخة
قتالية قوية ، وهو يستقبل هجومهما بلكمة كالقنبلة
وجَّهها إلى فكّ (رمزي) ، الذي سقط إثر اللكمة ،
إلى جوار الفراش الذي ترقد فوقه (سلوى) ، وفي نفس
اللحظة كان (نور) يتفادى لكمة قوية من قبضة
(محمود) ، ثم يهوى بقبضته على فكّ هذا الأخير ،
ويعقب ذلك بلكمة ثانية في معدته ، وسقط (محمود)
في نفس اللحظة التي نهض فيها (رمزي) ، وتجلّت

الكراهية واضحة في عينه ، وهو يركل (نور) في معدته
بكل قواه .

شعر (نور) وكأن مطرقة حديدية قد أصابت
معدته ، وتلّوه في قوة ، وكاد يسقط أرضاً ، ولكنه
تماسك في إصرار عجيب ، ربما لأنه كان يعلم أن مصير
الأرض بأكملها قد يتوقف على نتائج هذا الصراع ،
فشبك أصابع كفيه ، وضم قبضتيه بعضهما إلى بعض ،
وهوى بهما على وجه (رمزي) كصفعة قوية ، زلزلت
كيان هذا الأخير ، وألقته أرضاً فاقد الوعي ..
من القسوة أن يضطر الإنسان يوماً لمقاتلة أقرانه من
بنى البشر ..

من المؤلم أن يكون هذا هو طريقه الوحيد للحياة ..
ولكن الأكثر قسوة وألمًا أن تدفع الظروف رجلاً ،
لمقاتلة زوجته ، وأعز رفيق له في الحياة ، من أجل
إنقاذهم ..

١١ - من أجل كوكب الأرض ..

توقفت سيارة (نور) الصاروخية في وادي (أولاد عمرو) ، بعد منتصف الليل بساعة كاملة ، وهبط منها (نور) وهو يقبض على مسدسه الليزري في قوة ، وظل واقفاً أمام سيارته في صمت وصرامة بضع لحظات ، حتى اعتادت عيناه ضوء النجوم الضئيل ، الذي يشترك مع جزء من القمر في إضاءة الوادي ، ثم تحرك في خطوات واسعة رشيقة نحو المنطقة الخالية من الحصى ، ووقف يتأملها لحظة ، ثم تلفت حوله وهو يقول لنفسه :
- إنهم لا ينبتون الأرض كالجرذان ، كلما أرادوا الدخول أو الخروج ولا شك ، أراهن أنه هناك مدخل آخر .

دار بعينه مرة أخرى في أرجاء المكان ، ثم توقفت نظراته عند كهف تخفيه الظلال ، فتقدم نحوه في حذر ،

من المحزن أن يجد الإنسان نفسه مضطراً لتدمير أقرب الناس إليه ، في سبيل إنقاذ كوكبه بأكمله ..
ومن الأكثر حزناً أن يكون هذا الإنسان رجلاً ، يكره القسوة والتدمير ، مثل الرائد (نور الدين محمود) ...
دارت هذه الأفكار في رأس (نور) ، وهو يتأمل رفاقه الثلاثة ، الذين أفقدهم الوعي في قتال شرس ، واقترب من زوجته في حزن ، ومسح شعرها بأطراف أصابعه ، وأغمض عينيه في حزن وألم ، ثم فتحهما وقد امتلأتا بريق عزم وإصرار ، ودس مسدسه الليزري في الجيب الخاص به داخل سترته الجلدية ، وانطلق في طريقه لتحدي الموت الأزرق في الوادي الملعون .



وتأمل مدخله في اهتمام بعين فاحصة خبيرة ، ثم أخرج
من سترته مصباحًا صغيرًا ، وأضاءه ليتفحص جدران
الكهف ، ثم لم يلبث أن ابتسم في ظفر ، حينما عكست
بقعة معدنية صغيرة ضوء مصباحه ، فغمغم وهو يخرج
منظارًا غريب الشكل ، له عدسات حمراء اللون :

— هذا هو المدخل ولاريب ، إنهم يحيطونه بوسائل
أمن لكشف الدخلاء .

وضع (نور) المنظار الصغير فوق عينيه ، فظهرت
أمامه خيوط ضوئية حمراء ، تمتد في شكل شبكي غير مرئي
للعين المجردة ، وتكاد تسد مدخل الكهف تمامًا ، فعاد
(نور) يغمغم وهو يتقدم نحو الشبكة في حذر :

— إنهم يستخدمون أسلوبًا بدائيًا ، سيعاونني هذا
كثيرًا .

وفي رشاقة ومهارة رجل مخابرات علمية تلقى
تدريبات مكثفة ، عبر (نور) بين فراغات الشبكة
الضوئية الدقيقة ، وندت عنه تهيدة عميقة ، حينما وجد

نفسه على الجانب الآخر من شبكة الأمن الضوئية ، فعاد
يشعل مصباحه ، وتقدم عبر الكهف المظلم في خطوات
حذرة ، وسار طويلًا حتى وجد أمامه بابًا من الصلب ،
له لون سماوي فاتح ، فأخذ يتفحصه في اهتمام ، إلى إن
عثر على مستطيل صغير ، يختلف لونه بعض الشيء
عن باقي لون الباب .

وفي جراحة منقطة النظر ، وبلا أدنى تردد ، ضغط

(نور) المستطيل الصغير ، ورأى الباب المعدني ينشق

نصفين ، يتحرك كل منهما في اتجاه مخالف للآخر ،

ليفتح أمام (نور) مشهدًا ، جعل فكّه السفلي تسقط

في ذهول ، وعينيه تنفرجان في دهشة ، فقد رأى أمامه

ممرًا طويلًا خاليًا ، من معدن عجيب ، يشع ضوءًا أزرق

شاحبًا ، بعث في نفسه شعورًا بالخوف والرعب ،

وأصبح يعلم وهو يخطو داخل الممر أنه يضع قدمه

داخل مركز قيادة أصحاب البشرة الزرقاء .

تحرك (نور) في قلق ورهبة داخل الممر الأزرق ،
وهو يتلفت يمنة ويسرة في توثر ، حتى رأى ضوءاً قوياً ،
يشع من حجرة في نهاية الممر ، فالتصق بالجدار وهو
يتحرك نحوها في حذر .

لمس الجدار نفسه بعث في جسده رعدة عجيبة ،
فقد كان الجدار مصنوعاً من معدن ولا شك ، ولكنه
معدن مخملي الملمس ، بارد كالثلج ، يتموج تموجات
خافتة غير ملحوظة ، ولكنها محسوسة ، محسوسة إلى
حدّ يثير الرعب في قلب أشد الرجال بأساً .

تجاهل (نور) ، أو هو حاول أن يتجاهل ذلك
الملمس المقرز ، وهو يتقدم نحو الحجرة المفتوحة ، وحينما
وجد نفسه إلى جوارها تماماً ، خاطر بالنظر داخلها ، ولم
يكذب يفعل حتى هبط قلبه من بين ضلوعه إلى قدميه ..
كان يطل على حجرة واسعة ... واسعة جداً ، أو
هي صالة عميقة رحبة ، مضائة بلون يتراوح ما بين
الأزرق والبنفسجي .. جدرانها عبارة عن مجموعة من

شاشات الرصد ، تنقل مشاهد من جميع أنحاء العالم ،
بالإضافة إلى خريطة ضخمة للكرة الأرضية ، توزعت
فوقها مجموعة من المصايح الزرقاء الصغيرة ، استتج
(نور) من توزيعها أنها تشير إلى مراكز أصحاب الوجوه
الزرق ، في أنحاء الكرة الأرضية المختلفة .

مراكز كثيرة تغطي العالم أجمع ، وتؤكد قوة وانتشار
أصحاب البشرة الزرقاء ، الذين امتلأت بهم الردهة
الواسعة ، وهم يتحركون في عبااتهم الزرقاء ،
بوجوههم ذات اللون المخيف ، وعيونهم الحمراء بلون
الدم ، في مشهد من أكثر المشاهد التي وقعت عليها عينا
(نور) إثارة للرعب والرهبة .

لم يكن هذا المشهد هو ما أسقط قلب (نور) بين
قدميه ، وإنما كان مشهداً آخر ، مشهد زوجته فوق
أحد شاشات الرصد ، شاردة النظرات ، تتحدث بلغة
غير مفهومة إلى أحد أصحاب الوجوه الزرق ..
لم يفهم (نور) كلمة واحدة من ذلك الحديث ،

ولكنه استنج على الفور أن زوجته تمد أصحاب البشرة
الزرقاء بكل معلوماتها عنه ، وشعر بغضب عارم يموج في
أعماقه .. غضب على هؤلاء الغزاة ، الذين حولوا
زوجته ورفيقه إلى الد أعدائه .. أعداء يسعون إلى هدف
واحد ... موته .

لم يدرك (نور) كم مرّ من الوقت وهو يراقب الرجال
الزرق ، وهم يتحركون حركة دائبة داخل الردهة
الواسعة ، ولكنه قرّر في النهاية ألا يدخر وسعاً في سبيل
كشف هذا الغزو للعالم أجمع ، وكانت الخطوة الأولى في
رأيه هي نقل تلك الخريطة ، التي تحوى المراكز السريّة
للرجال الزرق إلى العالم ، وتحذيره من الغزو القادم .

وبلا تردّد ، نزع (نور) حزامه ، وانتزع الحلية
الصغيرة في مقدمته ، كانت تلك الحلية عبارة عن آلة
تصوير صغيرة ، مجهزة بفيلم دقيق ، يصل حجمه إلى
ربع حجم (الميكروفيلم) المعروف في القرن العشرين ،

ولكنه حسّاس إلى درجة تكفى لالتقاط صور واضحة في
حجرة شديدة الإظلام ..

وضع (نور) آلة التصوير الدقيقة فوق عينيه ،
وصوّب عدساتها شطر الخريطة الكبيرة ، وضغط الزرّ
الصغير أعلاها ، والتقط صورة واضحة للخريطة ،
وصدر من آلة التصوير صوت خافت .. خافت للغاية ،
ولكن يبدو أن آذان أصحاب الوجوه الزرق فائقة
الحساسية ، فقد استدارت وجوههم جميعاً نحو
(نور) ، وتألّقت في عيونهم الحمراء بلون الدم نظرات
غاضبة ، شعر بها (نور) تخترق جسده .. وقبل أن
يتحرك (نور) حركة واحدة ، انطلق نحوه شعاع
بنفسجي دقيق ، لم يشك لحظة واحدة في أنه يحمل إليه
الموت .. الموت وحده من أجل كوكب الأرض .

١٢ - أقتل أو تقتل ..

شق الشعاع البنفسجى القاتل طريقه نحو (نور) ،
الذى تحرك في سرعة ، محاولاً الإفلات من هذا المصير ،
ولكن هيبات أن تفوق سرعته سرعة شعاع ضوئى ..
أصابت الأشعة هدفها .. أو هى على وجه الدقة
وصلت إلى الهدف ، ولكن شيئاً صغيراً حال بينها
وبينه ، وليس هذا الشئ سوى آلة التصوير الدقيقة التى
يمسك بها (نور) .

ارتطم الشعاع البنفسجى بآلة التصوير ، التى
تألقت فجأة بلون كالذهب ، وسرت حرارة شديدة فى
أنامل (نور) ، فأفلتت آلة التصوير من يده فى ألم ،
ورآها تتحول فى جزء من الثانية إلى كومة من الرماد ،
تناثرت حوله ناعمة ..



وانطلق يعدو بكل ما يملك من قوة ، نحو الباب المعدنى المفتوح ، ووراءه
تصاعدت أصوات الخطوات البطيئة الثقيلة ، لأصحاب الوجوه الزرق ..

فقد (نور) آلة التصوير .. تحطمت حُطته قبل أن تبدأ .. لم يعد أمامه سوى الهرب .. الهرب من الموت الأزرق .

دار (نور) على عقبيه ، وانطلق يعدو بكل ما يملك من قوة ، نحو الباب المعدني المفتوح ، ووراءه تصاعدت أصوات الخطوات البطيئة الثقيلة ، لأصحاب الوجوه الزرق ، وبدأ الباب المعدني ينزلق ، في طريقه لالتقاء جانيه ، وصنع صوت انزلاقه معزوفة رهيبه ، بالاشتراك مع صوت الخطوات البطيئة .

ألقى (نور) كل قوته ، ورغبته في إنقاذ كوكبه في عضلات ساقيه ، في محاولة لدفعهما دفعا إلى الإسراع نحو الباب المعدني ، قبل أن تضيق فرجته ، ويحجزه خلفه . شعر بجسده يتحول تدريجياً إلى آلة للعدو .. وفي رأسه ماجت فكرة واحدة .. الهرب .. الهرب .

مرق إلى جوار أذنه اليمنى شعاع قاتل ، وارتطم ثان بالباب المعدني ، ولكنه لم يؤثر فيه مطلقاً ، وازداد

اقتراب جانبي الباب ، وانطلق شعاع ثالث ورابع ، وأصبح الأمل الوحيد في النجاة ، هو عبور الفتحة التي تضيق بسرعة ، بين جانبي الباب .. وقفز (نور) .. قفز وهو يعلم أنه أمام خيارين : العبور .. أو الموت .

عوامل شتى تكون دائماً الحد الفاصل بين الحياة والموت ، خيط رفيع هذا الذي يصل بينهما ، خيط واه ، سريع التمزق ، سهل القطع ...

فلو أن (نور) أكثر بدانةً ، ولو أنه أثقل حركةً ، أو أنه جبان رعديد ، ما كتبت له الحياة في هذه الليلة ..

فقد جاءت قفزته رائعة رشيقة ، وسط مطر قاتل من الأشعة البنفسجية ، وعبر جسده من الفتحة الصغيرة ، كقطعة من الخبز من بلعوم ضيق ، وشعر بجسده يحتك بجانبي الباب ، ولكنه لم يتوقف ، وحينما التقى الجانبان ، كان هو في الجانب الآمن من الباب ، فقفز واقفاً على قدميه ، وأطلق ساقيه للريح .. ولم يكده عبر شبكة ضوء

الأمن حتى انطلقت أصوات عجيبة ، مخيفة في أنحاء
الكهف ، وسمع صوت الباب المعدني يفتح من بعيد ،
والخطوات البطيئة الثقيلة تقترب منه ، وتسعى إلى قتله .

قفز (نور) فوق الصخور والأحجار ، التي تحيط
بمدخل الكهف ، وغبر المنطقة العارية من الوادي الملعون
بقفزات واسعة ، ثم ألقى جسده خلف أزرار القيادة
بسيارته الصاروخية ، وأدار المحرك النفث ..

صدرت زججة خافتة من السيارة ، ثم عادت إلى
الصمت ، دون أن يرتفع هدير المحرك النفثات
كالعادة .. وعاد (نور) يدير أزرار الإطلاق ، وهو
ينقل بصره بينها وبين مدخل الكهف ، الذي أضاء في
قوة ، وبدت على عتبه ظلال زرقاء تتحرك في خطوات
بطيئة رهيبة ..

ويبدو أن مشهد الرجال الزرق قد أثار رعب السيارة
الصاروخية نفسها ، فقد دار محركها فور ظهور
الظلال ، وانطلق بها (نور) كالصاروخ ، متفادياً

خمسة خيوط من الأشعة البنفسجية القاتلة ، ولم يكذ يعبر
حلقة الجبال المحيطة بالوادي الملعون ، حتى صاح في
انفعال يمتزج بتوتر بالغ :

— ترى .. هل سيتحول الأمر إلى مطاردة
صاروخية ؟ .. أم أن هؤلاء المسوخ لا يغادرون وكرهم
مطلقاً ؟

زاد من سرعه السيارة ، وهو يراقب الشاشة
الصغيرة ، التي تنقل إليه المشهد خلفه ، ولكنه لم يلمح
ما يشير إلى المطاردة ، فعقد حاجبيه وهو يغمغم :

— عجباً !! .. لقد تركوني أفلت هكذا ببساطة .
حاول أن يجد تفسيراً منطقياً لذلك ، ولكن ذهنه
المشوش عجز عن ترتيب الأمور .. فمد يده إلى حزامه
وهو يغمغم :

— حسناً .. فلندع التفسير لما بعد ، ولنشرح الأمر
أولاً للقائد الأعلى .

شعر بغضب عارم حينما كشف عدم وجود حزامه ،
وتذكر أنه نسيه هناك في وكر الرجال الزرق ، وظهرت
على ملامحه علامات ضيق شديد ، إذ كان هذا الحزام هو
وسيلة الاتصال الوحيدة بينه وبين القائد الأعلى
للمخابرات العلمية ، إلا أنه لم يلبث أن تغلب على هذا
الضيق ، وهو يتمم :

— فليكن .. كل ما في الأمر هو أنني سأضطر إلى
الذهاب بنفسى ، وأعتقد أن هذا أفضل في الوقت
الحالى .

استغرقت الرحلة من (قنا) إلى القاهرة ساعة واحدة ،
بسيارة (نور) الصاروخية ، وكانت الساعة ارب ساعته الذرية
تشير إلى الثانية وخمس دقائق صباحا ، حينما توقفت سيارته
أمام مبنى صغير ، تحمل لافتته اسم شركة مقاولات
مغمورة ، فقفز من سيارته وصعد في الدرجات الثلاث
أمام الباب في خفة ، ثم دق الباب في لهفة واضحة .

مضت بضع لحظات قبل أن يفتح الباب الصغير ،
ورأى (نور) أمامه رجلاً هادئاً ، تأمله في برود ، ثم قال :
— الشركة مازالت مغلقة يا سيدي ، إننا نبدأ عملنا
في الساعة صباحاً .

أجابته (نور) في خشونة :

— هذا لا يهم ، فأنا أحد العاملين هنا برتبة رائد .
تفرس الرجل ملامح (نور) في هدوء وروية ، ثم
سأله :

— هل لديك ما يؤكد ذلك ؟

قال (نور) في حدة :

— ماذا أصابك يا (عبد القادر) ؟ .. ألا تعرفنى
جيداً ؟

عقد (عبد القادر) كفيه خلف ظهره ، وقال في
هدوء :

— لقد انتشرت عمليات تغيير الملامح ، وأصبحت
رخيصة الثمن ، والأوامر هي الأوامر .

أخرج (نور) بطاقته في حدة ، وناولها إيَّاهَا ، وتناولها
(عبد القادر) في هدوء ، ثم دسَّها في تجويف أسطوانى
صغير أسفل جهاز مستطيل الشكل ، وهو يقول :
— ينبغي أن تعتاد مثل هذه الإجراءات أيها الرائد
(نور) ، فهى برغم سخافتها تقى الإدارة من أى محاولة
للتجسس .

ثم أعاد إليه بطاقته وهو يقول مبتسماً :
— حسناً .. البطاقة سليمة ، سنجرى الآن توزيع
المسام فى بصماتك (*) .

تركه (نور) يقوده إلى جهاز كشف الشخصية عن
طريق توزيع المسام العرقية ، وهو يقول فى ضجر :
— والله لقد سئمت هذه الأساليب إلى حد الموت
يا (عبد القادر) .

(*) يختلف توزيع المسام العرقية تماماً من شخص إلى آخر ، حتى أن
فحص هذا التوزيع يعطى نتائج أكثر دقة وسرعة من نتائج فحص بصمات
الأصابع ، وهناك اتجاه حديث إلى اللجوء إليها بدلاً من الطرق القديمة .

ضحك (عبد القادر) ، وهو يقول :
— البطاقة المغناطيسية يمكن سرقتها ، أو حتى
أخذها عنوة من الشخص المراد انتحال شخصيته ،
أما المسام فلا يمكن تغييرها مهما بلغ العلم من سطوته .
حاول (نور) أن يتسم ، ولكن كل ما يجيش به
صدره عجز عن ذلك ، فاكتفى بأن ألصق راحته
باللوح الشفاف ، المثبت فوق جهاز فحص المسام ،
وسمع (عبد القادر) يقول فى بساطة :

— لن يستغرق ذلك أكثر من ثانية واحدة يا سيادة
الرائد ، سيضىء المصباح الأخضر ، وأسمح لك بعدها
بالدخول و

وقبل أن يتم عبارته ، اتسعت عيناه ذهولاً ، ولم يكن
حال (نور) بأقل من ذلك ، إذ أن المصباح الأخضر ظل
صامتاً ، على حين انبعث من جهاز فحص المسام أزيز
متقطع ، وتحول اللوح الشفاف إلى اللون الأحمر

١٣ - خيوط العنكبوت ..

لم يكن هناك مجال للتفكير أو التفسير ، كان المهم هو اجتياز هذه العقبة المفاجئة ، التي تسد الطريق إلى إعلام العالم بالغزو الأزرق ، وكان لابد من اتخاذ خطوة جريئة سريعة ، أو ينتهي كل شيء .. واتخذ (نور) هذه الخطوة . تحرك في رشاقة وسرعة ، فركل المسدس الليزرى الذى يمسك به (عبد القادر) ، ثم هوى على فك هذا الأخير بثلاث أو أربع لكلمات متوالية قوية ، وقبل أن يسقط (عبد القادر) أرضاً كان (نور) قد اجتاز الباب إلى الخارج ، وقفز فى سيارته الصاروخية ، ثم أطلق لها العنان مبتعداً .
غصَّ حلقه وهو يفكر فيما أصابه ، وكادت دمعة حزينة تفلت من مآقيه ، ودار فى ذهنه سؤال محير .. أين يذهب ؟ وماذا يفعل ؟ ..

المتألق ، وفوق شاشة الجهاز تكوّنت كلمات مذهلة تقول :

— شخص زائف .. غير مسموح بدخوله .. يفضل إلقاء القبض عليه ..
وفى لمح البصر تغلّب (عبد القادر) على ذهوله ، وشهر مسدسه الليزرى فى وجه (نور) وهو يهتف غاضباً :

— من أنت أيها المخادع ؟ .. اعترف أو أذيب رأسك بأشعة مسدسى هذا .



شعر وكان الطرقات كلها قد سُدَّت حوله ،
زوجته ، رفاقه ، زملاء المخابرات العلمية .. كل
الطرق ..
وفجأة .. ومض في عقله طريق واحد .. طريق إلى
الرجل الوحيد الذي يمكنه أن ينقذه أو يعاونه ، وبلا
تردد انطلق (نور) إلى منزل هذا الرجل .

قفز الدكتور (محمد حجازي) - كبير الأطباء
المصريين - من فراشه فزعًا ، وأسرع نحو شقته الصغيرة
إثر رنين جرس الباب ، وضغط زرًا صغيرًا سمح له برؤية
الطارق ، غُبر عدسات الفيديو ، ولم يكذب يفعل حتى
فتح الباب وصاح :

- (نور) !؟ .. ماذا أصابك ؟ .. إنك تبدو
منهكًا للغاية .

قال (نور) ، وهو يعبر باب المنزل بخطوات
متهاككة :

- إنه أمر خطير .. خطير للغاية يا دكتور
(حجازي) ، ولقد أتيت أنشد تعاونك .
صاح الدكتور (حجازي) ، وهو يقوده إلى أريكة
واسعة في صدر المنزل :
- على الرحب والسعة يا (نور) ، سأل
ما بدا لك .

شرح (نور) الأمر في كلمات موجزة سريعة ،
وظلت ملامح الدكتور (حجازي) جامدة وهو يستمع
إليه ، حتى لقد ظن (نور) أنه لا يصدق ، فهتف بعد
أن انتهى من قصته :
- لماذا تقف ساكنًا هكذا يا دكتور (حجازي) ؟ ..
ألا تصدق ما أقول ؟

لم تتغير ملامح الدكتور (حجازي) الجامدة
لحظات ، ثم هز كتفيه وقال :
- لقد عملت معك طويلًا لأصدقك يا (نور) ،
ولكن هناك عدة نقاط مازالت تحتاج إلى تفسير .

سأله (نور) ، وهو يلقى ظهره على مسند الأريكة :

— سأل ما بدا لك يا دكتور (حجازي) ، وسأفسر كل ما تعجز عن فهمه .

صمت الدكتور (حجازي) لحظة ، ثم سأله :
— من هم مثلاً أصحاب الوجوه الزرق هؤلاء ؟

قال (نور) ، وهو يقاوم لتظل عيناه مفتوحتين :
— غزاة من كوكب آخر يا دكتور (حجازي) ،

يسعون للسيطرة على كوكب الأرض ، ويعدون مراكزهم في نقاط متفرقة من العالم ، استعداداً للهجوم الكبير ،

الذي لن يتأخر كثيراً حسبما أعتقد .
سأله الدكتور (حجازي) في اهتمام :

— من أي كوكب جاءوا ؟
هز (نور) رأسه وهو يسبل جفنيه في إرهاق ،

قائلاً :
— لست أعلم بعد ، ولكن لدى من الدلائل

ما يمكن علماء الفلك من العثور على كوكب الغزاة ، بسهولة ويُسر .

عقد الدكتور (حجازي) حاجبيه ، وازدادت عيناه ضيقاً ، وهو يغمغم بلهجة متسائلة :

— دلائل ؟
أوماً (نور) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم يا دكتور (حجازي) ، عدد كبير من الدلائل ، فهؤلاء الغزاة قدموا من كوكب يحتل نفس

موقع كوكب الأرض ، ولكن في مجرة بعيدة ، بدليل أنهم يتحركون فوق الأرض دون استخدام أقنعة خاصة ،

ولكن شمس مجموعتهم الشمسية أقل ضوءاً وحرارة من شمسنا ؛ لذا يتحركون دائماً في الظلام ، ويتحاشون

ضوء الشمس ، أو الضوء الساطع عامة ، والغلاف الجوي لكوكبهم يتكون معظمه من ثالي أكسيد

الكربون ، وهم يتنفسون الجزء الضئيل منه من غلافنا الجوي ، مما يزيد من اللون الأزرق لبشرتهم ، بل إنه

التفسير الوحيد للون بشرتهم ، أضف إلى ذلك أن جاذبية
كوكبهم تقل بعض الشيء عن جاذبية الأرض ؛ لذا تبدو
جاذبية الأرض بالنسبة لهم ضئيلة ، مما يضطرهم إلى
الحركة البطيئة ، وهذا يدفعهم أيضاً إلى تجنيد عدد من
سكان الأرض للعمل من أجلهم ، ألا تعتقد أن هذه
المعلومات تكفي علماء الفلك ؟

غمغم الدكتور (حجازى) :

— مثلما حدث مع زوجتك ورفيقتك ؟

أجابه (نور) فى حزن :

— نعم يا سيدي .. لقد جندوهم لمحاربتى ،
ولا ريب أنهم استجوبوهم جيّداً ، تحت تأثير السيطرة
العقلية ، واستغلوا مواهبهم — التى ضمّتهم إلى فريقي من
أجلها — فى محاربتى ، ولا يخفى عليك أنهم سيكونون أخطر
من يطاردنى ، فهم كانوا أقرب الناس إلى .. والصديق
الذى يعلم عنك كل شىء هو دائماً أخطر عدوّ لك
حينما تنقلب الأمور .

صمت الدكتور (حجازى) ، ولاحت فى زاوية
فمه ابتسامة ، لم تلبث أن تلاشت بسرعة وهو يعاود
السؤال قائلاً :

— كيف نفسّر إذن ما حدث فى مقر المخبرات
العلمية ؟

تشاءب (نور) فى إرهاق واضح ، ثم أجاب :

— الأمر بسيط للغاية يا سيدي ، لقد بدّلوا البطاقة
الخاصة بتوزيع مسامى العرقية داخل الإدارة ، ووضعوا
بدلاً منها واحدة زائفة ، وهكذا لن تنطبق مسامى
العرقية الفعلية ، على تلك المدوّنة فى بطاقتى داخل
الكمبيوتر .

قال الدكتور (حجازى) فى لهجة هادئة :

— يالهم من محتالين !!

قال (نور) وهو يقاوم نعاسه بصعوبة :

— لا بدّ أن يعلم العالم كل شىء عنهم يا سيدي ،
إنك ستعاوننى .. أليس كذلك ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى هدوء :
— بالطبع يا بنى ، ولكن بقى أن تحببني عن سؤال
أخير .

فتح (نور) جفنيه إلى نصف طريقهما ، وهو
يسأله :

— أى سؤال يا دكتور (حجازى) ؟

سأله الدكتور (حجازى) :

— ما علاقة مقبرة (أمحتب) بالأمر ؟ ولماذا قتلوا
الدكتور (وليد) بدلاً من إفقاده الذاكرة كغيره ؟
عاد (نور) يسبل جفنيه ، وهو يقول بلهجة تسلل
إليها نعاس لا يقاوم :

— إن مركز قيادة ذوى الوجوه الزرق يختفى خلف
معبد (أمحتب) يا سيدي ، ولكنهم لم ينتهبوا إلى أعماق
الحفر التى قام بها الدكتور (وليد) ، ربما لأنه قام بها فى
وضوح النهار الذى يخشونه ، كما أنه دخل إليهم من مدخل
غير مطروق ، ولم يتصور أحدهم قدوم أحد من هذا

المكان ، ولكنه حينما دخل المعبد ، رأى الاجهزة
الحديثة ، وشاشات الرصد ، وخريطة العالم ، وفهم
كل شيء ولكنه كتم الأمر بداخله ، وأدى ذلك إلى
اضطرابه وتحطم ساقه ، ويبدو أن هناك عقولاً لا تخضع
للسيطرة العقلية التى يشنها ذوو البشرة الزرقاء ، وهذا
ما أدى إلى حتمية قتل الدكتور (وليد) ، وهذا
السبب نفسه هو الذى جعلنى أحتفظ بذاكرتى على حين
فقد رفاقى وزوجتى ذاكرتهم .

وفجأة .. تذكر (نور) أمراً ما ، ففتح عينيه عن
آخرهما وهو يسأل الدكتور (حجازى) :

— ترى .. هل تعلم ماذا أصاب (مشيرة) ؟ ..
لقد اختفت تماماً منذ ذلك الصراع .

حدّق الدكتور (حجازى) فى وجهه لحظة ، ثم قال
فى هدوء :

— لقد ظهرت هذا المساء على شاشات صحيفتها
(أنباء الفيديو) ، وأعلنت خبراً غاية فى الخطورة .

عقد (نور) حاجيه وهو يسأله :

— أى خبر هذا ؟

صمت الدكتور (حجازى) برهة ، ثم قال :

— لقد أعلنت وجود قاتل مجنون طليق ، ينتحل

شخصية الرائد (نور الدين) ، ويجوب الطرقات ،

وحذرت الناس منك ، وأعلنت أنك مطلوب للعدالة .

هبطت كلمات الدكتور (حجازى) على (نور)

كالصاعقة ، حتى أنه عجز طويلاً عن نطق كلمة

واحدة ، ثم لم يلبث أن دفن وجهه بين كفيه ، وشعر

بالحجرة تدور حوله كاللدّامة وهو يغمغم فى أسى :

— يا إلهى !! لقد أحكموا حصارهم حولى تماماً ،

إنهم لم يتركوا لى منفذاً واحداً .

مال الدكتور (حجازى) نحوه ، قائلاً :

— سيطاردك الجميع ، رجال الشرطة ، والمخابرات

العلمية ، والصحافة ، وفريقك القديم ، لن يمكنك
الفرار إلى الأبد .

قال (نور) فى شرود ، وبصوت أقرب إلى الهمس :

— ليس الفرار هو ما أسعى إليه

يا دكتور (حجازى) ، أريد أن يعلم العالم حقيقة

ما يحدث ، لابد أن يتبها ويتحدوا حتى يمكنهم صد

ذلك الغزو .

صمت الدكتور (حجازى) لحظة ، ثم ابتسم وهو

يقول :

— عمل كهذا يحتاج إلى بعض الراحة أولاً ، استلق

يا بنى حتى أعد لك كوباً من الشاي الساخن يعيد إليك

نشاطك .

ابتسم (نور) ابتسامة شديدة الشحوب ، وهو

يسبل جفنيه تماماً ، ويسترخى مسنداً رأسه إلى ظهر

الأريكة الواسعة ، ودارت فى رأسه أفكار شتى ...

فكر فى زوجته وابنته .. فى (رمزى) و (محمود)

أجابه (نور) في دهشة :

— لست نبيًا يا سيدي ، ولكن واجبي يقضى
التضحية بحياتي من أجل وطني ، فما بالك بكوكبي
كله ؟

ابتسم الدكتور (حجازي) ، وقال في هدوء :
— هذا صحيح يا بني ، اشرب كوب الشاي ...
هيا .

رفع (نور) كوب الشاي الساخن إلى فمه ، وقبل
أن يرشف منه رشفة واحدة ، تألق شيء في عقله ،
شيء ارتجف له جسده ، فرفع رأسه إلى وجه الدكتور
(حجازي) في فزع ، وصاح :

— يا إلهي !! أنت أيضًا ؟!

وفي حركة سريعة ، رفع الدكتور (حجازي) فوهة
مسدس ليزري في وجه (نور) ، وقال في صوت أجش
مخيف :

— ألم أقل لك يا فتى ألا فائدة من الهرب ؟

و (مشيرة) .. في رفاقه الذين تحوّلوا في غمضة عين
إلى أعداء ، يسعون إلى تحطيمه وقتله .. وهو يسعى
جاهدًا لإنقاذ العالم من غزو جديد .. غزو أصحاب
البشرة الزرقاء

أفاق (نور) من أفكاره ، على صوت الدكتور
(حجازي) يقول :

— هاك الشاي الساخن يا بني .

فتح (نور) عينيه في صعوبة ، وتناول كوب الشاي
وهو يحاول الابتسام بلا جدوى ، وسمع الدكتور
(حجازي) يقول

— أليس من العجيب أن تسعى لإنقاذ عالم
يطاردك ؟

غمغم (نور) :

— إنهم لا يعلمون ما أصابهم يا سيدي .

عاد الدكتور (حجازي) يقول :

— هل تظن نفسك نبيًا جديدًا ، يمتلك قدرًا

لأنهاية له من التسامح والتبّل ؟

١٤ — ختام الجزء الأول ..

تبخرت حالة الإرهاق التي كان يشعر بها (نور)
دفعة واحدة ، أمام هذه المفاجأة المذهلة ، ووجد نفسه
يقفز واقفاً ، ويشير إلى الدكتور (حجازي) في
غضب ، هاتفاً :

— لقد سيطروا على عقلك أنت أيضاً ، كان ينبغي
أن أتوقع ذلك .

ظهرت ابتسامة ساخرة على شفתי الدكتور
(حجازي) ، وهو يقول :

— ما كان يجب أن تقع في هذا الخطأ ، مادمت
تعلم أن صديقك (رمزي) قد انضم إلينا ، إنه خبير في
الطب النفسي ، ويعرفك إلى حد مدهل .. لقد توقع
تماماً أن تلجأ إليّ حينما تضيق بك السبل .

قال (نور) في حزن وغضب :

— لقد كاد الأمر يخدعني في البداية ، لولا أن
تنبّهت إلى تناقض عجيب .. لقد سألتني حين وصولي
عمّالي ، وما أصابني ، ثم أخبرتنني فيما بعد أن (مشيرة)
قد أذاعت تحذيراً مني ، وأباحت دمي للناس .
مطّ الدكتور (حجازي) شفثيه ، وقال :

— لقد حدث هذا بالفعل .

قال (نور) :

— نعم .. إنني أصدّقك ، ولكن القول الأول
والفعل الأخير يتنافيان تماماً ، مما جعلني أشك في كونك
واقفاً تحت سيطرتهم أيضاً .. ثرى ، ماذا وضعت لي في
كوب الشاي ؟ .. إنه سمّ ولا شك ، فلم تكن هناك
حاجة لدس منوم صناعي ، لرجل يكاد ينهار إرهاقاً
مثلي .

صوّب الدكتور (حجازي) مسدسه إلى رأس

(نور) ، وقال :

— أنت عبقرى أيها الشاب ، وهذا هو ما يجعل
قتلك ضرورة لا تحتل التأجيل .. فأنت تشكّل خطراً
على عملية الغزو بأكملها .

لم ينتظر (نور) حتى ييادره الدكتور (حجازى)
بدفقة من أشعة الليزر ، فتحرّك فجأة إلى اليسار ،
ودار على عقبيه ، ثم ركل المسدس الذى يمسك به
الدكتور (حجازى) بركلة قوية ، أطاحت به بعيداً ،
وانقض على الدكتور (حجازى) ، ولكن هذا الأخير
تلقى أول لكمات (نور) على ذراعه ، برشاقة وقوة
تتافيان مع بدائه وعمره ، ثم وجّه لكمة إلى بطننا
كادت تهشم أنفه ..

اتخذ (نور) وضعاً قتالياً جديداً ، وهو يواجه
الدكتور (حجازى) ، وشعر بالحزن يعتصر قلبه ، وهو
يهاجم أستاذه القديم ، ولكنه برغم ذلك لم يدخر جهداً
في قتاله ، فقد كانت قوى الدكتور (حجازى) قد

تضاعفت إلى حدّ مخيف ، كما يحدث عادة لكل ضحايا
ذوى الوجوه الزرق ، وكان يقاتل بمزيج من الكراهية
والحقد والشراسة ، كما لو كان واحداً منهم ، لا من أهل
الأرض ..

انقضّ الدكتور (حجازى) على (نور) ،
وأمسك بتلابيه . ثم رفعه عاليًا كطفل صغير ، وقفز نحو
النافذة المفتوحة ، يهيم بإلقاء (نور) منها .. من الطابق
الثلاثين .

رأى (نور) الموت قاب قوسين أو أدنى منه ، لم ير
موته ، بل رأى موت كوكب الأرض أمام الغزاة الزرق ،
وبعث هذا الخاطر في عروقه قوة رهيبية ، فضم قبضتيه ،
وهوى بهما مجتمعين على مؤخر عنق الدكتور
(حجازى) .

جحظت عينا الطبيب الشرعى ، ودارتا في
محجريهما ، ثم نددت عنه حشرة مخيفة ، وهوى أرضاً
كالحجر ..

جسد الدكتور (حجازى) ، ثم توجه إلى باب المنزل ،
وغادره في حزن وأسى .

انطلقت سيارة (نور) بلا هدف ، واحتبست في
حلقة غصّة منعتة من الكلام أو حتى البكاء .

كان يعلم طريقه جيّداً ، ولكنه لم يكن يعرف كيفية
الوصول إليه .

كان العالم كله يحاربه ..

وكان هو يحارب من أجل العالم كله ..

العالم أجمع يسعى للقضاء عليه ..

وهو يسعى لإنقاذ العالم أجمع ..

كان هو هدف الجميع ..

وإنقاذ الجميع هو هدفه الأول ..

كان عليه أن يتجاهل زوجته وابنته ورفاقه ..

وعليه أن يسعى لإنقاذ زوجات وأبناء ورفاق

الآخرين ...

تخلّص (نور) من قبضة الدكتور (حجازى) في
صعوبة ، ثم نهض مترنّحاً من شدة الألم والإرهاق ،
وألقى بنفسه على أقرب المقاعد إليه ، وأخذ يلهث ،
وهو يتأمل جسد أستاذه الدكتور (حجازى) ، الملقى
فوق أرض الردهة .

شعر بالدموع تكاد تنهمر من عينيه ، وهو يستعيد
ما حدث منذ صباح أمس ، وفاضت نفسه بالحزن
والأسى ..

من كان يتصوّر أن البحث عن قاتل في جريمة غامضة
يقود إلى كل هذا ؟ عاد بذاكرته إلى الدكتور (فؤاد
عيسى) ، الذى ينتظر عودته الآن ، لإثبات براءته ..
وقفزت إلى فمه ابتسامة مريّة ، وهو يتذكّر أنه أصبح
يقاتل الآن لإثبات براءته هو ، وليعلم العالم كله قصة
الغزو .

نهض (نور) من مقعده ، وألقى نظرة أخيرة على

كان رجلاً يحمل على كتفيه عبئاً لا يطيقه أشد
الرجال قوةً وبأساً ..

عبء إنقاذ العالم بأكمله من الغزو القادم من وراء
النجوم ..

عبء تحدى الخطر الذى أطلق عليه اسم (الموت
الأزرق) .

باسل

www.dvd4arab.com

[تم بحمد الله الجزء الأول]

العدد القادم

الجزء الثانى

[السماء المظلمة]

رقم الإيداع ٣٢١٥